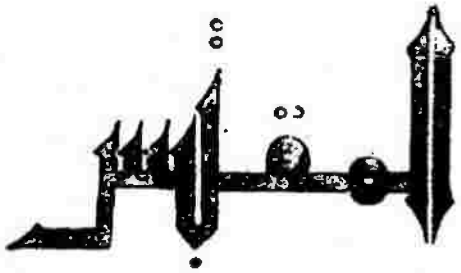

الجزء الحادي عشر من المجلد الثاني

ذي القعدة سنة ١٣٢٥ الموافق دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٧

محاسن الكتب

للجاحظ (١)

كانت العجم تقيد مآثرها بالبنيان والمدن والحصون مثل بناء ازدشير وبناء إصطخر وبناء المدائن والسدير والمدن والحصون . ثم ان العرب شاركت العجم في البنيان وتفردت بالكتب والاخبار والاشعار والآثار فلها من البنيان غمدان وكعبة نجران وقصر مأرب وقصر مارد وقصر شعوب والابلق الفرد وغير ذلك من البنيان . وتصنيف الكتب اشد تقييداً للمآثر على مر الايام والدهور من البنيان لان البناء لا محالة يدرس وتعفى رسومه والكتاب باقٍ يقع من قرن الى قرن ومن امة الى امة فهو ابداً جديد والناظر فيه مستفيد وهو ابلغ في تحصيل المآثر من البنيان والتصاوير . وكانت العجم تجعل الكتاب في الصخور ونقشاً في الحجارة وخلقة مركبة في البنيان فربما كان الكتاب هو الباقي وربما كان هو المحفور اذا كان ذلك تاريخاً لامر جسيم او عهداً لامر عظيم او موعظة يرتجى نفعها او احياء شرف يريدون تخليد ذكره كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مأرب وعلى ركن المشقر وعلى الابلق الفرد وعلى باب الرها يعمدون الى المواضع المشهورة والاماكن المذكورة فيضعون الخط في ابعد المواضع من الدثور وامنعها من الدروس واجدر ان يراه من مرَّ به ولا ينسى على وجه الدهور .

---

(١) منقولة من كتاب المحاسن والاضداد ومن كتاب الحيوان وقد حذفنا بعض الفقرات المكررة في الثانية فقط

ولولا الحكم المحفوظة والكتب المدونة لبطل اكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر ولما كان للناس مفزع الى موضع استذكار ولولم يتم ذلك لحرمنا اكثر النفع ولولا ما رسمت لنا الاوائل في كتبها وخلدت من عجيب حكمتها ودونت من انواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وادركنا ما لم نكن ندركه الا بهم لقد بخس حظنا منه . واهل العلم والنظر واصحاب الفكر والعبر والعلماء بمخارج الملل وارباب النحل وورثة الانبياء واعوان الخلفاء يكتبون كتب الظرفاء والصلحاء وكتب الملاهي وكتب اعوان الصلحاء وكتب اصحاب المراء والخصومات وكتب السخفاء وحمية الجاهلية . ومنهم من يفرط في العلم ايام خموله وترك ذكره وحداثة سنه . ولولا اجياد الكتب واحسانها لما تحركت همم هؤلاء لطلب العلم ونازعت الى حب الكتب وانفت من حال الجهل وان يكونوا في غمار الوحش ولدخل عليهم من الضرر والمشقة وسوء الحال ما عسى ان يكون لا يمكن الاخبار عن مقداره الا بالكلام الكثير .

وسمعت محمد بن الجهم يقول : اذا غشيني النعاس في غير وقت النوم تناولت كتاباً فاجد اهتزازي للفوائد والاريحية التي تعتريني من سرور الاستنباط وعز التبيين اشد ايقاظاً من نهيق الحمار وهدة الهدم فاني اذا استحسنت كتاباً واستجدته ورجوت فائدته لم أوثر عليه عوضاً ولم ابغ به بدلاً فلا ازال انظر فيه ساعة بعد ساعة كما بقي من ورقه مخافة استنفاده وانقطاع المادة من قبله . وقال ابن داحة : كان عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عمر ابن الخطاب لا يجالس الناس فنزل مقبرة من المقابر وكان لا يزال في يده كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال لم ار اوعظ من قبر ولا آنس من كتاب ولا اسلم من الوحدة . واهدى بعض الكتاب الى صديق له دفترا وكتب معه : هديتي اعزك الله تزكو على الانفاق وتربو على الكد لا تفسدها العواري ولا تخلقها كثرة التقليب وهي انس في الليل والنهار والسفر والحضر تصلح للدنيا والآخرة تؤنس في الخلوة وتمنع من الوحدة مسامر مساعد ومحدث مطاوع ونديم صدق . وقال بعض الحكماء : الكتب بساتين العلماء . وقال آخر : الكتاب جليس لا مؤونة له . وقال آخر : ذهبت المكاره الا من الكتب .

قال الجاحظ وانا احفظ واقول : الكتاب نعم الذخر والعقدة والجليس والعمدة ونعم النشرة ونعم النزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الانيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل والزميل ونعم الوزير والنزيل . والكتاب وعاء ملىء علماً وظرف حشي ظرفاً وانا اشحن مزاحاً إن شئت كان اعجى من باقل وان شئت كان ابلغ من سحبان وائل وان شئت سرتك نوادره وشحك مواعظه ومن لك بواعظ مثله وبناسك فاتك

وناطق اخرس ومن لك بطبيب أعرابي ورومي هندي وفارسي يوناني وديم مولد وكيب متمتع ومن لك بشيء يجمع لك الاول والآخر والناقص والوافر والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغث والسمين والشكل وخلافه والجنس وضده .

وبعد فما رأيت بستانًا يجمل في روض وروضة تنقل في حجر ينطق عن الموتى ويترجم عن الاحياء ومن لك بمؤنس لا ينام الا بنومك ولا ينطق الا بما تهوى آمن من الارض واكتم للسر من صاحب السر واحفظ للوديعة من ارباب الوديعة ولا اعلم جارًا آمن ولا خليطًا انصف ولا رفيقًا اطوع ولا معلمًا اخضع ولا صاحبًا اظهر كفاية وعناية ولا اقل املالاً ولا ابرامًا ولا ابعد عن مراء ولا اترك لشغب ولا ازهد في جدال ولا اكف عن قتال من كتاب . ولا اعم بيانًا ولا احسن مواتاة ولا اعجل مكافأة ولا شجرة اطيب عمرًا ولا اطيب ثمرًا ولا اقرب مجتنى ولا اسرع ادراكًا ولا اوجد في كل ابان من كتاب . ولا اعلم نتاجًا في حداثة سنه وقرب ميلاده ورخص ثمنه وامكان وجوده يجمع من السير العجيبة والعلوم الغريبة وآثار العقول الصحيحة ومحمود الاذهان اللطيفة ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة والاخبار عن القرون الماضية والبلاد النازحة والامثال السائرة والامم البائدة ما يجمعه كتاب .

ومن لك بزائر ان شئت كانت زيارته غبًا وورده خمسًا وان شئت لزمك لزوم ظلك وكان منك كبعضك . والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك والصديق الذي لا يقليك والرفيق الذي لا يملك والمستمع الذي لا يستزيدك والجار الذي لا يستبطئك والصاحب الذي لا يريد استجراج ما عندك بالملق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق . والكتاب هو الذي ان نظرت فيه اطال إمتاعك وشحذ ضباعتك وبسط لسانك وجوّد بيانك ونغم الفاظك وبجح نفسك وعمر صدرك ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك يطيعك بالليل طاعته بالنهار وفي السفر طاعته في الحضر وهو المعلم ان افتقرت اليه لم يحقرك وان قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة وان عزلت لم يدع طاعتك وان هبت ريح اعدائك لم ينقلب عليك ومتى كنت متعلقًا منه بادنى حبل لم تضطرك معه وحشة الوحدة الى جليس السوء .

وان امثل ما يقطع به الفراغ نهارهم واصحاب الكفايات ساعات ليلهم نظر في كتاب لا يزال فهم فيه ازدياد في تجربة وعقل ومروءة وصون عرض واصلاح دين وتثمير مال ورب صنيعة وابتداء انعام . ولولم يكن من فضله عليك واحسانه اليك الا منعه لك من الجلوس على بابك والنظر الى المارة بك مع مافي ذلك من التعرض لحقوق التي تلزم ومن فضول النظر وملابسة صغار الناس ومن حضور الفاظهم الساقطة ومعانيهم الفاسدة واخلاقهم الردية

وجهالتهم المذمومة لكان في ذلك السلامة والغنيمة واحراز الاصل مع استفادة الفرع ولو لم يكن في ذلك الا انه يشغلك عن سخف المنى واعتياد الراحة وعن اللعب وكل ما نشتهيه لقد كان له في ذلك على صاحبه اسبغ النعم واعظم المنة وجملة الكتاب وان كثر ورقه فليس مما يمل لانه وان كان كتاباً واحداً فانه كتب كثيرة في خطابه والعلم بالشريعة والاحكام والمعرفة بالسياسة والتدبير . وقال مصعب بن الزبير : ان الناس يتحدثون باحسن ما يحفظون ويحفظون احسن ما يكتبون ويكتبون احسن ما يسمعون فاذا اخذت العلم فخذه من افواه الرجال فانك لا ترى ولا تسمع الا مختاراً ولؤلؤاً منظوماً . وقال الزهري : اذا سمعت ادباً فاكتبه ولو في حائط .

قال ذوالرمة لعيسى بن عمر : اكتب شعري فالكتاب احب اليَّ من الحفظ لان الاعرابي ينسى الكلمة قد سهر في طلبها ليلته فيضع في موضعها كلمة في وزنها ثم ينشدها الناس والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاماً بكلام ولا اعلم جاراً ابرَّ ولا خليطاً انصف ولا رفيقاً اطوع ولا معلماً اخضع ولا صاحباً اظهر كفاية ولا اقل جناية ولا اقل ملالاً وابراماً ولا احفل اخلاقاً ولا اقل خلافاً واجراماً ولا اقل غيبة ولا ابعد من عضيهة ولا اكثر أنجوبة وتصرفاً ولا اقل تصلفاً وتكلفاً ولا ابعد من مراء ولا اترك لشغب ولا ازهد في جدال ولا اكف عن قتال من كتاب . ولا اعلم قريناً احسن موافاة ولا اعجل مكافاة ولا احضر معونة ولا اخف مؤونة ولا شجرة اطول عمراً ولا اجمع امراً ولا اطيب ثمرة ولا اقرب مجتنى ولا اسرع ادراكاً ولا اوجد في كل ابان من كتاب ولا اعلم نتاجاً في حداثة سنه وقرب ميلاده ورخص ثمنه وامكان وجوده يجمع بين التدابير العجيبة والعلوم الغريبة ومن آثار العقول الصحيحة ومحمود الاذهان اللطيفة ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة ومن الاخبار عن القرون الماضية والبلاد المتنازحة والامثال السائرة والامم البائدة ما يجمع لك الكتاب .

والكتاب هو الذي يؤدي الى الناس كتب الدين وحساب الدواوين مع خفة نقله وصغر حجمه صامت ما اسكته وبليغ ما استنطقته ومن لك بمسامر لا يبتديك في حال شغلك ويدعوك في اوقات نشاطك ولا يحوجك الى التجمل له والتذمم منه . قال ابو عبيدة قال المهلب لبنيه في وصيته : يابني لا تقوموا في الاسواق الا على زراد او وراق . وحدثني صديق لي قال : قرأت على شيخ شامي كتاباً فيه من مآثر غطفان فقال : ذهبت المكارم الا من الكتب . وسمعت ابا الحسن اللؤلؤي يقول : غبرت اربعون يوماً ما قلت ولا بت الا والكتاب موضوع على صدري . وذكر المتنبي كتاباً لبعض القدماء فقال : لولا ضنه

وكثرة ورقه لتسخته فقال ابن الجهم : لكني ما رغبني فيه الا الذي زهدك فيه وما قرأت قط كتاباً كبيراً فاخلاني من فائدة وما أحصي كم قرأت من صغار الكتب فخرجت منها كما دخلت .

وقال العتبي ذات يوم لابن الجهم الا تتعجب من فلان نظر في كتاب اقليدس مع جارية سلمويه في يوم واحد وساعة واحدة فقد فرغت الجارية من الكتاب وهو بعد لم يحكم مقالة واحدة على انه حر مخير وتلك أمة مقصورة وهو احرص على قراءة الكتاب من سلمويه على تعليم جارية قال ابن الجهم : قد كنت اظن انه لم يفهم منه شكلاً واحداً واراك تزعم انه قد فرغ من مقالة . قال العتبي : وكيف ظننت به هذا الظن وهو رجل ذو لسان وادب قال : لاني سمعته يقول لابنه : كم انفقت على كتاب كذا قال : انفقت عليه كذا انما رغبني في العلم اني ظننت اني انفق عليه قليلاً واكتسب كثيراً فاما اذا صرت أنفق الكثير وليس في يدي الا المواعيد فاني لا أريد العلم بشيء فالانسان لا يعلم حتى يكثر سماعه ولا بد ان تكون كتبه اكثر من سماعه ولا يعلم ولا يجمع العلم ولا يختلف حتى يكون الانفاق عليه من ماله الذ من الانفاق من مال عدوه ومن لم تكن نفقته التي تخرج في الكتب الذ عنده من عشق القيان وانفاق المستهزئين بالبيان لم يبلغ في العلم مبلغاً رضياً وليس ينتفع بانفاقه حتى يؤثر اتخاذ الكتب إيثار الاعرابي فرسه باللبن على عياله وحتى يؤمل في العلم ما يؤمل الاعرابي في فرسه .

وقال ابراهيم بن السندي مرة : وددت ان الزنادقة لم يكونوا حرصى على المقالات بالورق النقي الابيض وعلى تحلل الحبر الاسود المشرق البراق وعلى اجادة الخط والارغاب لمن يخط فاني لم ار كورق كتبهم ورقاً ولا كالخطوط التي فيها خطا واذا غرمت مالاً عظيماً مع حبي للمال وبغض الغرم كان سخاء النفس بالانفاق على الكتب دليلاً على تعظيم العلم وتعظيم العلم دليل على شرف النفس وعلى السلامة من سكر الآفات .

وقال بعضهم : كنت عند بعض العلماء فكنت اكتب عنه بعضاً وادع بعضاً فقال لي : اكتب كل ما تسمع فان مكان ما تسمع اسود خير من مكان ابيض . وقال الخليل بن احمد : تكثر من العلم لتعرف وتقلل منه لتحفظ . وقال ابواسحق القليل والكثير للكتب والقليل وحده للصدر وانشد قول ابن بشير .

اما لو أعي كل ما اسمع ... واحفظ من ذاك ما اجمع
ولم استفد خير ما قد جمـ ... ـت الا قليل هو العالة المصقع
ولكن نفسي اذ كرتو ... ع من العلم تسمحه تنزع

فـلا انا احفظ ما قد جمـ . ـت ولا انا من جمعه اشبع
وأحصر بالعي سفي مجلسي وعلمي في الكتب مستودع
فمن بك في علمه هكذا يكن دهره القهقرى يرجع
اذا لم تكن حافظاً واعياً فجمعك للكتب لا ينفع

وقال ابن اسحق: كلف ابن بشير الكتب ما ليس عليها ان الكتب لا تحيي الموتى ولا تحول الاحمق عاقلاً ولا البليد ذكياً ولكن الطبيعة اذا كان فيها ادنى قبول فالكتب تشحذ وتفتق وترهف وتشفي ومن اراد ان يعلم كل شيء ينبغي لاهله ان يداووه فان ذلك انما تصور له بشيء اعتراه فمن كان ذكياً حافظاً فليقصد الى شيئين والى ثلاثة اشياء ولا ينزع الدرس والمطارحة ولا يدع ان يثر على سمعه وعلى بصره وعلى ذهنه ما قدر عليه من سائر الاصناف فيكون عالماً بالخواص ويكون غير غفل عن سائر ما يجري فيه الناس ويخوضون فيه ومن كان مع الدرس لا يحفظ شيئاً الا نسي ما هو اكثر منه فهو من الحفظ من افواه الرجال ابعد. وحدثني موسى بن يحيى قال: ما كان في خزانة كتب يحيى وفي بيت مدارسه كتاب الاوله ثلاث نسخ. وقال ابو عمرو بن العلاء: ما دخلت على رجل قط ولا مررت ببابه فرأيته ينظر في دفتر وجليسه فارغ اليد الا اعتقدت انه افضل منه واعقل

وقال ابو عمرو بن العلاء: قيل لنا يوماً ان في دار فلان ناساً قد اجتمعوا على سوءة وهم جلوس على خيرة لهم وعندهم طنبور فتسوّرنا عليهم في جماعة من رجال الحي فاذا فتى جالس في وسط الدار واصحابه حوله واذا هم بيض اللحى واذا هو يقرأ عليهم دفتراً فيه شعر فقال الذي سعى بهم: السوءة في ذلك البيت وان دخلتموه عثرتم عليها فقلت: والله لا اكشف فتى اصحابه شيوخ وفي يده دفتر علم ولو كان في ثوبه دم يحيى بن زكريا وانشد رجل يونس النحوي.

استودع العلم قرطاساً فضيعه فبئس مستودع العلم القراطيس

قال فقال يونس: قاتله الله ما اشد ضنانته بالعلم واحسن صيانته له ان علمك من روحك ومالك من بدنك فضعه منك بمكان الروح وضع مالك بمكان البدن. وقيل لابن داحة واخرج كتاب ابي الشمقمق واذا هو في جلود كوفية دفلين طائفتين بخط عجيب فقيل له: لقد اضيع من تجود بشعر ابي الشمقمق فقال: لا جرم والله ان العلم ليعطيكم على حساب ما تعطونه ولو استطعت ان اودعه سويداء قلبي او اجعله محفوظاً على ناظري لفعلت ولقد دخلت على اسحاق بن سليمان في امرته فرأيت الدماطين والرجال مثولاً كأن على رؤوسهم الطير ورأيت فرشته وبزته ثم دخلت عليه وهو معزول واذا هو في بيت كتبه

وحواليه الاسفاط والرقوق والقماطر والدفاتر والمساطر والمحابر فما رأيته قط الفم ولا انبل ولا اهيب ولا اجزل منه في ذلك اليوم لانه جمع مع المهابة المحبة ومع الفخامة الحلاوة ومع السؤدد الحكمة . وقال بعضهم : كتب الحكماء وما دوّنت العلماء من صنوف البلاغات والصناعات والآداب والارفاق من القرون السابقة والامم الخالية ومن له بقية ابقى ذكرًا وارفع قدرًا واكثر ردءاً لان الحكمة انفع لمن ورثها من جهة الانتفاع بها واحسن سمتًا في الاحدوثة لمن احب الذكر الجميل والكتب بذلك اولى من بنيان الحجارة وحيطان المدر لان من شأن الملوك ان يطمسوا على آثار من قبلهم وان يمحوا ذكر اعدائهم فقد هدموا بذلك السبب المدن واكثر الحصون كذلك كانوا ايام العجم وايام الجاهلية وعلى ذلك في ايام الاسلام كما هدم عثمان صومعة غمدان وكما هدم الآطام التي كانت بالمدينة وكما هدم زياد كل قصر ومصنع كان لابن عامر وكما هدم اصحابنا بناء مدن الشامات لبني مروان .

ان من شكر النعمة في معرفة مغاوي الناس ومراشدهم ومضارهم ومنافعهم ان تحتمل ثقل مؤونتهم في تقويمهم وان تتوخى ارشادهم وان جهلوا فضل ما يسدى اليهم فلن يصان العلم بمثل بذله ولن تستبق النعمة فيه بمثل نشره على ان قراءة الكتب ابلغ في ارشادهم من تلاقيهم اذ كان مع التلاقي يشتد التصنع ويكثر التظالم وتفرط العصبية وتقوى الحمية وعند المواجهة والمقابلة يشتد حب الغلبة وشهوة المباهاة والرياسة مع الاستحياء من الرجوع والانقة من الخضوع وعن جميع ذلك تحدث الضغائن ويظهر التباين واذا كانت القلوب على هذه الصفة وعلى هذه الهيئة امتنعت من التعرف وعميت عن مواضع الدلالة وليست في الكتب علة تمنع من درك البغية واصابة الحجة لان المتوحد يدرسها والمنفرد يفهم معانيها لا يباهي نفسه ولا يغالب عقله وقد عدم من له يباهي ومن اجله يغالب .

والكتاب قد يفضل صاحبه ويتقدم مؤلفه ويرجح قلمه على لسانه بامور منها ان الكتاب يقرأ بكل مكان ويظهر ما فيه على كل لسان ويوجد مع كل زمان على تفاوت ما بين الاعصار وتباعد ما بين الامصار وذلك امر مستحيل في واضع الكتاب والمتنازع في المسألة والجواب . ومنافلة اللسان وهدايته لا تجوزان مجلس صاحبه ومبلغ صوته وقد يذهب الحكيم وتبقى كتبه ويذهب العقل ويبقى اثره ولولا ما اودعت لنا الاوائل في كتبها وخلدت من عجيب حكمتها ودوّنت من انواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وادركنا ما لم نكن ندركه الا ببعد المحسن حظنا من الحكمة ولضعف سببنا الى المعرفة ولو لجأنا الى قدر قوتنا ومبلغ خواطرنا ومنتهى تجاربنا لما ندركه حواسنا وتشاهده نفوسنا لقلت المعرفة وسقطت الهمة وارتفعت العزيمة وعاد الرأي

عقيماً والخاطر فاسداً ولكلّ الحدّ وتبلد . واكثر من كتبهم نفعاً واشرف منها خطراً واحسن موقعاً كتب الله تعالى التي فيها الهدى والرحمة والاخبار عن كل حكمة وتعريف كل سيئة وحسنة وما زالت كتب الله تعالى في الالواح والصحف والمحابر والمصاحف وقال الله عز وجلّ : « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه » . وقال : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » . ويقال لاهل التوراة والانجيل اهل الكتاب . وينبغي ان يكون سبيلنا لمن بعدنا كسبيل من كان قبلنا فينا على انا قد وجدنا من العبرة اكثر مما وجدوا كما ان من بعدنا يجد من العبرة اكثر مما وجدنا فما ينتظر العالم باظهار ما عنده وما يمنع الناصر للحق من القيام بما يلزمه وقد امكن القول وصلح الدهر وخوى نجم التقليد وهبت ريح العلماء وكسد العي والجهل وقامت سوق البيان والعلم وليس يجد الانسان في كل حين انساناً يدربه ومقوّماً يثقفه والصبر على افهام الريض شديد وصرف النفس عن مغالبة العالم اشد منه . والمتعلم يجد في كل مكان الكتاب عتيداً وبما يحتاج اليه قائماً وما اكثر من فرط في التعليم ايام خمول ذكره وايام حداثة سنه .

ولولا جياد الكتب وحسنها ومبينها ومختصرها لما تحركت هم هؤلاء لطلب العلم ونزعت الى حب الادب وانفت من حال الجهل وان تكون في غمار الحشو ولدخل على هؤلاء من الخلل والمضرة من الجهل وسوء الحال ما عسى ان لا يمكن الاخبار عن مقداره الا بالكلام الكثير ولذلك قال عمر رضي الله تعالى عنه : تفقهوا قبل ان تسوّدوا . وقد نجد الرجل يطلب الآثار وتأويل القرآن ويجالس الفقهاء خمسين عاماً وهو لا يعد فقيهاً ولا يحمل قاضياً فما هو الا ان ينظر في كتب ابي حنيفة واشباه ابي حنيفة ويحفظ كتب الشروط في مقدار سنة او سنتين حتى تمر ببابه فتظن انه من بعض العمال وبالحريّ ان لا يمر عليه من الايام الا اليسير حتى يصير حاكماً على مصر من الامصار او بلد من البلدان . قال ابن بشير في صفة الكتب في كلة له .

اقبلت اهرب لا آلو مباعدة ... في الارض منهم فلم يحصني الهرب
فقصر اوس فما والت خنادقه ... ولا التواويس فالماخور فالحرب
فايما موئل منها اعتصمت به ... فمن ورائي حثيثاً منهم الطلب
لما رأيت بانني لست معجزهم ... فوتاً ولا هربا قربت احتجب
فسرت في البيت مسروراً به جذلا ... جاراً لبوأة لا شكوى ولا شغب
فرداً يحدثني الموتى وتنطق لي ... عن علم ما غاب عني منهم الكتب
هم مؤنسون وألاف غنيت بهم ... فليس لي في انيس غيرهم ارب

لله من جلساء لا يجالسهم ... ولا يشيرهمو للسوء مرتقب
لا بادرات الاذى يخشى رفيقهم ... ولا يلاقيه منهم منطق ذرب
ابقوا لنا حكماً تبقى منافعها ... أخرى الليالي على الايام والكتب
فايما آدب منهم مددت يدي ... اليه فهو قريب من يدي كثب
ان شئت من حكم الآثار يرفعها ... الى النبي ثقات خيرة نجب
او شئت من عرب علماً بأولهم ... في الجاهلية ابتني بها العرب
او شئت من سير الاملاك من عجم ... تنبي وتخبر كيف الرأي والادب
حتى كأني قد شاهدت عصرهمو ... وقد مضت دونهم من عمرهم حقب
يا قائلاً قصرت في العلم نهيته ... امسى الى الجهل فيما قال ينتسب
ان الاوائل قد بانوا بما طلبوا ... خلاف قولك ما بانوا ولا ذهبوا
ما مات مثل امرئ ابقى لنا ادباً ... نكون منه اذا ما مات نكتسب

قال الجاحظ : ومما يدل على نفع الكتاب انه لولا الكتاب لم يجز ان يعلم اهل الرقة والموصل وبغداد وواسط ما كان بالبصرة وما يحدث بالكوفة في بياض يوم حتى تكون الحادثة بالكوفة غدوة فتعلم بها اهل البصرة قبل المساء اه

غدوة الكتب

لله اخوان افادوا مفخراً ... فبوصلهم ووفائهم انكثر
هم ناطقون بغير السنة ترى ... هم فاحصون عن السرائر تضمر
ان ابغ من عرب ومن عجم معاً ... علماً مضى فبه الدفاتر تخبر
حتى كأني شاهد لزمانها ... ولقد مضت من دون ذلك اعصر
خطباء ان ابغ الخطابة يرتقوا ... كفي وكفي للدفاتر منبر
كم قد بلوت بهما الرجال وانما ... عقل الفتى بكتاب علم يسبر
كم قد هزمت به جليساً مبرماً ... لا يستطيع له الهزيمة عسكر

ليس في الدنيا منظر تنصرف اليه الوجوه ولا صورة تحدق فيها العيون ولا نفحة ترتاح اليها الارواح وتخاطبها القلوب ولا صديق اخلص من ذاك الكتاب تودعه سرك فلا يخونك وتبوح اليه بذات نفسك فيحفظ غيبتك و يطرب حضرتك . ليس في صفة البشر مثل هذه

الاوراق الثمينة التي قد يجهد كاتبها في تسويدها نفسه و يصرف عليها ايامه واعوامه رجاء نفع يُرتجى وعقل يرتقي وجهالة تضمحل وذكر يخلد ومحمدة تردد . نعم ليس افعل في القلوب من الكتاب يعيد مثلها مستنيرًا وميتها حيًا ويجعل بعد عسر يسرًا . فالكتب تحيا الامم وترفع الى ذرى المجد والسؤدد والصحف تأنس النفوس المستوحشة وتنبسط الصدور المنقبضة .

وماذا عسانا نقول في وصف الكتاب بعد ان قرأ القاريء ما قرأ في صدر هذا الجزء من قول الجاحظ سيد العلماء ورأس الحكماء وانما نقول هنا على الجملة ان قد كثر المولعون في جمع الكتب قديمًا بكثرة اسباب الحضارة بحيث لو اراد المرء احصاء من ولعوا بذلك من العرب و وصف شيء من حالتهم لاقتضى ذلك كتابًا برأسه . فبلغ من عناية الملوك بالكتب وجمعها ان حمل المأمون الى بغداد من الكتب المخطوطة ما يثقل مائة بعير وكان من شروط صلحه مع ميخائيل الثالث ان يعطيه مكتبة من مكاتب الاستانة . قيل ان عدد مجلدات خزانة المأمون كان ستمائة الف وان فهرستها دخلت في اربعة واربعين مجلدًا وقيل ذلك في مكتبة الخلفاء بالاندلس . وأنشيء بيت الحكمة في بغداد على عهد الرشيد في غالب الاقوال وكان يجتمع فيه النساخ والمؤلفون والمترجمون والمطالعون . اما دار الحكمة او دار العلم في القاهرة فكانت فيها خزانة انشأها الحاكم بامر الله وحمل اليها الكتب من خزائن القصور . وكان في القاهرة في اوائل القرن الرابع مكتبة تحتوي على مئة الف مجلد منها ستة آلاف في الطب والفلك لا غير وكان من نظامها ان تعار بعض الكتب للطلبة المقيمين في القاهرة . وقد تكاثرت خزائن الكتب في المدارس الكبرى والصغرى فقومت كتب المدرسة النظامية ببغداد بالوف وكذلك كان شأن مدارس الشام ومصر .

قال القلقشندي في خزائن الكتب المشهورة : ويقال ان اعظم خزائن الكتب في الاسلام ثلاث خزائن احداها خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد فكان فيها من الكتب مالا يحصى كثرة ولا يقوم عليه نفاسة ولم تزل على ذلك الى ان دهمت التتر بغداد فذهبت خزائن الكتب فيما ذهب . الثانية خزانة الخلفاء الفاطميين بمصر وكانت من اعظم الخزائن واكثرها جمعًا للكتب النفيسة من جميع العلوم ولم تزل على ذلك الى ان انقرضت دولتهم فاشترى القاضي الفاضل اكثر كتب هذه الخزانة ووقفها بمدرسته الفاضلية بدرب مغوخيا بالقاهرة فبقيت فيها الى ان استولت عليها الايدي فلم يبق منها الا القليل . الثالثة خزانة خلفاء بني امية بالاندلس وكانت من اجل خزائن الكتب ايضًا ولم تزل الى انقراض دولتهم باستيلاء ملوك الطوائف عليها . قال واما الآن اي في القرن الثامن فقد قلت عناية الملوك بخزائن الكتب لاكتفاء بخزائن كتب المدارس .

ولم تكن الحكومات ورؤساؤها مولعة بجمع الكتب وجعلها وقفاً على المطالعة والمراجعة في قصورهم او مكاتب ينشئونها لهذا الغرض او في مدارسهم بل كان العلماء والوزراء وكثير من اهل الثراء مولعين باقتناء الكتب على تعذر الحصول عليها فقد كان نور الدين الشهيد مولعاً بالكتب جمع منها الامهات ووقف كثيراً منها على الاستفادة . وكذلك كان صلاح الدين فانه نقل بعض الكتب المهمة من مصر الى الشام لما صار عليها سلطاناً . وانشأ يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله ثاني خلفاء الفاطميين خزانة كتب وبذل الاموال في الاستكثار من المؤلفات النافعة . وكان يجمع فيها من الكتاب الواحد عشرات من النسخ ولقد غالى من كتب عنها ومنهم المقريزي وقالوا كان العزيز يتعهدها بنفسه حيناً بعد آخر . وانشأ نوح بن منصور صاحب بخارى من ملوك بني سامان مكتبة منقطعة القرين فيها الكتب على اختلاف ضروب العلم . وقد وصفها ابن سينا وكان أذن له بدخولها وقراءة ما فيها من كتب الطب فقال : دخلت داراً ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض في بيت منها كتب العربية والشعر وفي آخر الفقه وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد فطالعت فهرست كتب الاوائل وطلبت ما احتجت اليه منها ورأيت من الكتب مالم يقع اسمه الى كثير من الناس قط وما كنت رأيته من قبل ولا رأيته ايضاً من بعد .

ولما كتب نوح بن منصور الى الصاحب بن عباد وزير بني بويه المتوفى سنة ٣٨٥ ورقة في السر يستدعيه ليفوض اليه وزارته وتدبير مملكته كان من جملة اعذاره اليه انه يحتاج لنقل كتبه خاصة الى اربعمائة جمل فما الظن بما يليق بها من التجمل . وكان سيف الدولة بن حمدان مولعاً بجمع الكتب ولوخ نوح بن منصور فكانت في داره خزائن كبيرة جمع فيها الامهات المفيدة . وقيل ان وزير الواثق بالله كان ينفق ثلاثين الف دينار كل شهر على ترجمة الكتب ونسخها . وكان للفتح بن خاقان وزير المتوكل خزانة كتب جمعها علي بن يحيى لم ير اعظم منها كثرة وحسناً وكان يحضر داره فصحاء العرب وعلماء البصرة والكوفة قال ابوحنان ثلاثة لم ارَ قط ولا سمعت بأكثر محبة للكتب والعلوم منهم الجاحظ والفتح بن خاقان واسمعيل بن اسحق القاضي وكان الفتح يحضر لمجالسة المتوكل فاذا اراد القيام لحاجة اخرج كتاباً من كمه او جيبه وقرأ فيه الى حين عودة المتوكل — قاله ابن الكتبي في الفوات .

وذكر المبرد مثل هذه الرواية فقال انه ما رأى احرص على العلم من ثلاثة الجاحظ والفتح بن خاقان واسمعيل بن اسحق القاضي . فاما الجاحظ فانه كان اذا رفع بيده كتاب

قرأه من اوله الى آخره اي كتاب كان واما الفتح بن خاقان فانه كان يحمل الكتاب في خفه فاذا قام بين يدي المتوكل للبول او للصلاة اخرج الكتاب لينظر فيه وهو يمشي حتى يبلغ الموضع الذي يريده ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه الى ان يأخذ مجلسه . واما اسمعيل بن اسحق فاني ما دخلت عليه قط الا وفي يده كتاب ينظر فيه او يقلب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه . وبلغ من ولوع بعض الخاصة بالتوفر على خدمة العلم انهم كانوا يفتحون ابواب خزائنهم لكل مستفيد فقد جعل حنين بن اسحق النسطوري في بغداد داره مكتبة عامة تفد اليها طلاب العلوم العقلية والرياضية وكان يتبرع بمذاكرتهم فيما يريدون المذاكرة فيه . وكان لافرائيم بن الزفان الاسرائيلي من اطباء مصر همة عالية في تحصيل الكتب الطبية وغيرها وكان ابداً عنده النساخ يكتبون ولهم ما يقوم بكفايتهم منه . قال ابن ابي أصيبعة وحدثني ابي ان رجلاً من العراق كان قد اتى الى الديار المصرية ليشتري كتباً ويتوجه بها وانه اجتمع مع افرائيم واتفق الحال فيما بينهما ان اباعه افرائيم من الكتب التي عنده عشرة آلاف مجلد . وكان ذلك في ايام ولاية الافضل بن امير الجيوش فلما سمع بذلك اراد ان تبقى تلك الكتب في الديار المصرية ولا تنتقل الى موضع آخر فبعث الى افرائيم من عنده بجملة المال الذي كان قد اتفق ثمنه بين افرائيم والعراقي ونقلت الكتب الى خزانة الافضل وكتبت عليها القابه وخلف افرائيم من الكتب ما يزيد على عشرين الف مجلد . وكان للصاحب امين الدولة السامري همة عالية في جمع الكتب وتحصيلها قال ابن ابي اصيبعة : واقتنى كتباً كثيرة فاخرة في سائر العلوم وكانت النساخ ابداً يكتبون له حتى انه اراد مرة نسخة من تاريخ دمشق للحافظ بن عساكر وهو بالخط الدقيق ثمانون مجلداً فقال : هذا الكتاب الزمن يقصر ان يكتبه ناسخ واحد فرقه على عشرة نساخ كل واحد منهم ثمان مجلدات فكتبوه في نحو سنتين وقد اجتمع عنده اكثر من عشرين الف مجلد وفي رواية انها بلغت مئة الف مجلد لا نظير لها في الجودة . ووقف موفق الدين ابي طاهر بساوة دار كتب . قال ابو بكر بن شاذان : وكان ممن اخذ عن الصوفي وكان يباهي كثيراً بالكتب وهي مصفوفة وجلودها مختلفة الالوان كل صف من الكتب لون فصف احمر وصف اصفر وغير ذلك قال فكان الصوفي يقول هذه الكتب كلها سماع وكان ابو منصور الخوافي كثير الرواية واكثر رواياته كتب الادب وكان قد جمع كتباً من كل جنس . وكانت لبني موسى بن شاكر همم عالية في تحصيل العلوم القديمة وكتب الاوائل وانعبوا انفسهم في شأنها وانفذوا الى بلاد الروم من اخرجها لهم واحضروا النقلة من الاصقاع الشاسعة والاماكن البعيدة بالبذل السني

وكانت لموفق الدين بن المطران المتوفى سنة ٥٨٧ على ما في تاريخ الاطباء همة عالية في تحصيل الكتب حتى انه مات وفي خزانته من الكتب الطبية وغيرها ما يناهز عشرة آلاف مجلد خارجاً عما استنسخه وكانت له عناية بالغة في استنساخ الكتب وتحريرها . وكان في خدمته ثلاثة نساخ يكتبون له ابداً ولهم منه الجامكية والجراية وكان من جملتهم جمال الدين المعروف بابن الجمانة وكان خطه منسوباً وكتب المطران ايضاً بخطه كتباً كثيرة وكان كثير المطالعة للكتب لا يفارق ذلك في اكثر اوقاته واكثر الكتب التي كانت عنده توجد وقد صححها واتقن تحريرها وعليها خطه بذلك وبلغ من كثرة اعتنائه بالكتب وغوايته فيها انه كتب لكثير من الكتب الصغار والمقالات المنفرقة في الطب وهي في الاكثر يوجد جماعة منها في مجلد واحد استنسخ كلاً منها بذاته في جزء صغير قطع نصف ثمن البغدادي بمسطرة واضحة وكتب بخطه ايضاً عدة منها واجتمع عنده من تلك الاجزاء الصغار مجلدات كثيرة جداً فكان ابداً لا يفارق في كمه مجلداً يطالعه على باب دار السلطان او اين توجه .

وكان للقاضي الفاضل من رجال صلاح الدين يوسف ولع بتحصيل الكتب ونعة بالكتابة قيل ان كتبه التي ملكها تكون مئة الف مجلد وليس هذا ببعيد على من كان له من صلاح الدين المكانة المعروفة فقد كان دخله ومغله على ما في كتب التاريخ نحو خمسين الف دينار سوى متاجر الهند والمغول وغيرها . وكان جمال الدين بن القفطي الصعيدي وزير حلب المعروف بالقاضي الاكرم المتوفى سنة ٦٤٦ جماعاً للكتب جمع منها ما لا يوصف وكانوا يحملونها اليه من الآفاق وكانت مكتبته تساوي خمسين الف دينار ولم يكن يحب من الدنيا سواها وله حكايات غريبة من غرامه بالكتب ولم يخلف ولداً فاوصى بمكتبته لناصر الدولة صاحب حلب .

وكان ناصر الدين العسقلاني المتوفى سنة ٧٢٣ جماعاً للكتب خلف ثمان عشرة خزانة مملوءة كتباً نفيسة ادبية وكانت زوجته تعرف ثمن كل كتاب وبقيت تبيع منها الى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة وكان اذا لمس الكتاب وجسه قال: هذا الكتاب الفلاني وملكته في الوقت الفلاني وكان اذا اراد اي مجلد قام الى خزانته وتناوله كأنه الآن وضعه بيده قال ابن الكتبي: وكان يباشر الانشاء بمصر زماناً الى ان اضر لانه اصابه سهم في نوبة حمص الكبرى فعمي وبقي ملازماً بيته . وخلف ابو زكريا يحيى معين المعري البغدادي الحافظ المشهور من الكتب مائة قمطر وارسع حلب [illegible] كتباً وكان الامير ابن فاتك من [illegible]

نزل من الركوب لا يفارقها وليس له دأب الا المطالعة والكتابة ويرى ان ذلك اهم ما عنده وكانت له زوجة كبيرة القدر ايضاً من ارباب الدولة فلما توفي نهضت في وجوارٍ منها الى خزائن كتبه وفي قلبها من الكتب وانه كان يشتغل بها عنها فجعلت تندبه وفي اثناء ذلك ترمي الكتب في بركة ماء كبيرة في وسط الدار في وجوارٍ بها ثم شيلت الكتب بعد ذلك من الماء وقد غرق اكثرها قال ابن ابي اصيبعة : فهذا سبب ان كتب المبشر ابن فاتك يوجد كثير منها وهو بهذه الحال .

وجمع الوزير الفاضل ابو نصر المنازي كتباً كثيرة وقفها على جامع ميافارقين وجامع آمد قال ابن خلكان وهي الى الآن موجودة بخزائن الجامعين ومعروفة بكتب المنازي . وكان الاستاذ ابو الفتوح برجوان من خدام العزيز صاحب مصر ومدبري دولته مولعاً بالكتب ولعه بالطرائف والاثاث والرياش والآلات وخلف منها مالا يحصى كثرة . واقتنى تاج الدين البغدادي اوحد عصره في فنون الآداب وعلو السماع من كتب خزائن مصر كل نفيس . وكان ابو موسى سليمان بن محمد الحامض النحوي المتوفى سنة ٣٠٥ صاحب الكتب الحسان في الادب اوصى بكتبه لابي فاتك المقتدري بخلاً بها الى ان تصير الى احد من اهل العلم . وذكر صاحب نفح الطيب ان جده كان غنياً جداً حتى ان المقري هذا لم يدرك من ثروة جده الا اثر نعمة اتخذ فصوله عيشاً واصوله حرمة ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب . ومن جملة ذخائر قصر العاضد آخر ملوك العبيديين بمصر التي استولى عليها صلاح الدين يوسف خزانة كتب من الكتب المنتخبة بالخطوط المنسوبة والخطوط الجيدة نحو مائة الف مجلد . وكان ابو سعد السمعاني صاحب كتاب الانساب يحصل الكتب . وكان ولد القاضي الفاضل الاشرف بهاء الدين مثابراً على تحصيل الكتب مثل والده . وكان في دار ابي المظفر بن معروف من افاضل مصر واطبائها مجلس كبير مشحون بالكتب على رفوف فيه ولم يزل في معظم اوقاته في ذلك المجلس مشتغلاً في الكتب والقراءة والنسخ قال في طبقات الاطباء : ومن اعجب شيء منه انه كان قد ملك الوفاً كثيرة من الكتب في كل فن وان جميع كتبه لا يوجد شيء منها الا وقد كتب على ظهره ملحاً ونوادر مما يتعلق بالعلم الذي قد صنف ذلك الكتاب فيه وقد رأيت كتباً كثيرة من كتب الطب وغيرها من الكتب الحكمية كانت لابي المظفر وعليها اسمه وما منها شيء الا وعليه تعاليق مستحسنة وفوائد متفرقة مما يجانس ذلك الكتاب .

قال الذهبي وسنة اثنتين ومائة مات الضحاك بن مزاحم الخراساني صاحب التفسير وكان علامة وكان مؤدباً عنده ثلاثة آلاف صبي (كذا) ومكتبة كالجامع كان يدور عليهم قلت : ومن العجب وجود كتب في القرن الاول تكون من الكثرة بحيث تحتاج مكتبة

وكان اسحق بن ابراهيم النديم الموسيقي المتوفى سنة ٢٣٥ كثير الكتب حتى قال ابو العباس ثعلب رأيت لاسحق الموصلي الف جزء من لغات العرب وكلها سماعه وما رأيت اللغة في منزل احد قط اكثر منها في منزل اسحق ثم منزل ابن الاعرابي . وكانت كتب الواقدي تملأ ستمائة صندوق ويقتضي حملها مئة وعشرين جملاً . وكان صاحب القاموس الفيروزابادي لا يسافر الا ومعه احمال من الكتب . وكتب ابن قيم الجوزية بخطه مالا يوصف وكان محباً للعلم ومطالعته وكتابته واقتناء كتبه واقتنى من الكتب ما لا يحصل لغيره . وكان عند محمد ابن سيد الناس كتب كبار وامهات جيدة وهو من الحفاظ والمحدثين ورأى ابن النديم صاحب الفهرست مكتبة ابن ابي بعرة من اهل مدينة الحديثة في الموصل وقال : انه لم ير لاحد مثلها . ومدح ياقوت الحموي مدينة مرو فقال : ولولا ما عرا من ورود التتر الى تلك البلاد واخرابها لما فارقتها الى الممات لما في اهلها من الرقة ولين الجانب وحسن العشرة وكثرة كتب الاصول المتقنة بها فاني فارقتها وفيها عشرة خزائن للوقف لم ار في الدنيا مثلها كثرة وجودة منها خزانتان في الجامع احداهما يقال لها العزيزية وقفها رجل يقال له عزيز الدين ابو بكر عتيق الزنجاني اوعتيق بن ابي بكر وكان فقاعيا للسلطان سنجر وكان في اول امره يبيع الفاكهة والريحان بسوق مرو ثم صار شرابيا له وكان ذا مكانة منه وكان فيها اثنا عشر الف مجلد او ما يقاربها والاخرى يقال لها الكمالية لا ادري الى من تنسب وبها خزانة شرف الملك المستوفي ابي سعد محمد بن منصور في مدرسته ومات المستوفي هذا في سنة ٤٩٤ وكان حنفي المذهب وخزانة نظام الملك الحسن بن اسحاق في مدرسته وخزانتان للسمعانيين وخزانة اخرى في المدرسة العميدية وخزانة لمجد الملك احد الوزراء المتأخرين بها والخزانة الخاتونية في مدرستها والضميرية في خانكاه هناك وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد واكثره بغير رهن تكون قيمتها مائتي دينار فكنت ارتع فيها واقتبس من فوائدها وانساني حبها كل بلد واطاني عن الاهل والولد واكثر فوائد هذا الكتاب (معجم البلدان) وغيره مما جمعته فهو من تلك الخزائن .

وفي خطط مصر ومزاراتها للسخاوي ان المدرسة المحمودية بخط المواز بنيين انشأها محمود الاستادار في سنة ٧٩٧ ورتب بها درساً للسادة الحنفية وللحديث النبوي وعمل بها خزانة كتب لم تحو خزانة مثل ما فيها من الكتب وهي كلها كتب قاضي القضاة ابراهيم بن جماعة . وكان الامام زين الدين ابو حفص عمر بن مسلم القرشي من علماء دمشق المتوفى سنة ٧٩٣ مولعاً بالكتب وملك من نفائسها شيئاً كثيراً حتى انه لما اعتقل هو وابنه بقلعة دمشق في دولة الظاهر برقوق رهن كثيراً من كتبه على المبلغ الذي طلب منهما . واولع الامام

المقري الواعظ المفسر الخطيب الصوفي شيخ العراق عزالدين ابوالعباس احمد الفاروقي الواسطي بالكتب كثيراً قال ابن كثير : انه خلف التي مجلد ومائتي مجلد وتوفي سنة ٦٩٤ واحب بدر الدين بن غانم احد كتاب الانشاء بدمشق الكتب وعني بجمعها وخلف التي مجلدة . ووقف فخر الدين المارديني الفيلسوف سنة ٥٩٤ جميع كتبه في مدينة ماردين في المشهد الذي وقفه حسام الدين بن ارتق الفيلسوف والكتب التي وقفها فخر الدين في من اجود الكتب وفي نسخه التي كان قد قرأ اكثرها على مشايخه وحررها وقد بالغ في تصحيحها واتقانها . وحصل عمران الاسرائيلي الطبيب المتوفى سنة ٦٣٧ من الكتب الطبية وغيرها مالا يكاد يوجد عند غيره . وأحصيت الكتب التي وجدت في خزانة نور الدين علي بن جابر فكانت نحو ستة آلاف مجلد . وبامثال هؤلاء راجت صناعة الوراقة والنسخ في البلاد الاسلامية رواج المطابع اليوم بل اكثر حتى كان الوجيه بن صورة المتوفى سنة ٦٠٧ مسماراً في الكتب بصر « وله في ذلك حظ كبير وكان يجلس في دهليز داره لذلك ويجتمع عنده في يوم الاحد والاربعاء اعيان الرؤساء والفضلاء ويعرض عليهم الكتب التي تباع ولا يزالون عنده الى انقضاء وقت السوق فلما مات البلفي سار الى الاسكندرية لبيع كتبه »

وبعد فقد أولع اهل الاندلس بالتطريس على آثار المملكة الاسلامية الشرقية في علومهم وصناعتهم وزراعتهم حتى كان لبعض العظماء منهم في كل عاصمة من عواصم العلم في الشرق نساخ متوفرون على نقل الكتب التي يؤلفها المشارقة ولا يعجز ان تخلو منها مكاتب المغاربة فكأن الاندلسيين كسائر الغربيين الاوروبيين من الافرنج يولعون من النظرة بالاخذ عن الشرق كليات الخضارة وجزئياتها . وترى اليوم مثالاً من ذلك يشبه حال الاندلسيين مع سكان المشرق قديماً فان اهل الغرب ما برحوا يتتبعون آثار السلف في الشرق على ارتقاء العلوم عندهم وابتغائهم في مرامي المدنية .

ذكروا انه كان في الاندلس وحدها تسعون مكتبة عامة فيها مواضع خاصة للمطالعة والنسخ والترجمة . قال ابن الخطيب كانت في سبتة خزانة كتب العلوم وكذلك في مكناسة الزيتون خزائن كتب . وكان الحكم بن الناصر المتوفى سنة ٣٦٦ جماعاً للكتب يبذل الاموال في استجلابها من الاقطار قال الذهبي : ولعل كتبه كانت تساوي اربعمائة الف دينار وقال لسان الدين بن الخطيب انه كان محباً في العلم والعلماء مثيراً للرجال من كل بلد جمع العلماء من كل قطر ولم يكن في بني امية اعظم همة ولا اجل منزلة في العلوم وغوامض الفنون منه قال ابن حزم : اخبرني تليد الخصي وكان على خزانة العلوم والكتب بدار مروان ان عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب اربع واربعون فهرسة في كل فهرسة عشرون ورقة

ليس فيها الا ذكر اسماء الدواوين لا غير . وقال ابن خلدون ان الحكم كان يبعث في شراء الكتب الى الاقطار رجالاً من التجار ويرسل اليهم الاموال لشرائها حتى جلب منها الى الاندلس مالم يعهدوه قال جمع بداره المذاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والاجادة في التجليد فاوعى من ذلك كله واجتمعت بالاندلس خزائن من الكتب لم تكن لاحد من من قبله ولا من بعده الا ما يذكر عن الناصر العباسي بن المستضيء ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة الى ان بيع اكثرها في حصار البربر وامر باخراجها وبيعها الحاجب واضح ونهب ما بقي منها عند دخول البربر قرطبة . ونقل المقري ان الحكم جمع من الكتب مالا يحدولا يوصف كثرة ونفاسة حتى قيل انها كانت اربعمائة الف مجلد وانهم لما نقلوها اقاموا ستة اشهر في نقلها قال : وكان ذا غرام بها قد آثر ذلك على لذات الملوك فاستوسع علمه ودق نظره وجمت استفادته وقلما يوجد كتاب من خزائنه الا وله فيه قراءة او نظر في اي فن كان ويكتب فيه نسب المؤلف ومولده ووفاته ويأتي من بعد ذلك بغرائب لا تكاد توجد الا عنده لعنايته بهذا الشأن . وكان ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أحد ملوك المصامدة شديد الولع بالعلم والادب طمح به شرف نفسه وعلو همته الى تعلم الفلسفة فجمع كثيراً من اجزائها وبدأ من ذلك بعلم الطب ثم تخطى ذلك الى ما هو اشرف منه من انواع الفلسفة وأمر بجمع كتبها فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحكم المستنصر بالله الاموي قال صاحب المعجب : اخبرني ابو محمد عبد الملك الشذوني احد المتحققين بعلمي الطب واحكام النجوم قال : كنت في ايام شبيبتي استعير كتب هذه الصناعة يعني صنعة الاحكام من رجل كان عندنا بمدينة اشبيلية اسمه يوسف يكنى ابا الحجاج يعرف بالمراني كانت عنده منها جملة كبيرة وقعت الى ابيه في الفتنة بالاندلس فكان يعيرني اياه في غرائر احمل غرارة واجيء بغرارة من كثرتها عنده فاخبرني في بعض الايام انه عدم تلك الكتب بجملتها فسألته عن السبب الموجب لذلك فاسرّ اليّ ان خبرها أنهي الى امير المؤمنين فارسل الى داري وانا في الديوان لا علم عندي بذلك وكان الذي ارسل كافور الخصي مع جماعة من العبيد الخاصة وامره ان لا يروّع احداً من اهل الدار وان لا يأخذ سوى الكتب وتوعده والذين معه اشد الوعيد ان نقص اهل البيت ابرة فما فوقها فأخبرت بذلك وانا في الديوان فظننته يريد استصفاء اموالي فركبت وما معي عقل حتى اتيت منزلي فاذا الخصي كافور الحاجب واقف على الباب والكتب تخرج اليه فلما رآني وتبين ذعري قال لي لا بأس عليك واخبرني ان امير المؤمنين يسلم عليّ وانه ذكرني بخير ولم يزل يبسطني حتى زال ما في نفسي ثم قال لي : سل اهل بيتك هل راعهم احد او نقصهم شيئاً . جاء ابو المسك حتى استأذن علينا ثلاث مرات فاخلينا له الطريق

ودخل هو بنفسه الى خزانة الكتب فامر باخراجها فلما سمعت هذا القول منهم زال ما كان في نفسي من الروع وولوه بعد اخذهم لهذه الكتب منه ولاية ضخمة ما كان يحدث بها نفسه . ولم يزل يجمع الكتب من اقطار الاندلس والمغرب ويبحث عن العلماء وخاصة اهل علم النظر الى ان اجتمع له منهم مالم يجتمع لملك قبله من ملوك المغرب . ولما تغلب السلطان يعقوب بن عبدالحق صاحب المغرب الاقصى على ملك تشتالة في اواخر المئة السابعة سأله ان يبعث اليه بكتب العلم التي بايدي النصارى منذ استيلائهم على مدن الاسلام فبعث اليه منها ثلاثة عشر حملاً فامر السلطان بحملها الى فاس وتحبيسها على المدرسة التي أسسها بها لطلبة العلم . وكان احمد بن الرومية احد اعلام المحدثين المتوفى سنة ٦٣٧ وهو النباتي الذي وقف على ما لم يقف عليه غيره ممن تقدم في الملة الاسلامية حتى صار فرداً لا يجاريه احد باجماع من اهل هذا الشأن ـ كثير الكتب جماعاً لها كما قال في الاحاطة وذلك في كل فن من فنون العلم وربما وهب منها المتحبس الاصل النفيس الذي يعز وجوده احتساباً واعانة على التعليم قال: وانتشرت عنه تصانيف ابي محمد بن حزم واستحسنها واظهرها واعتنى بها وانفق عليها اموالاً جمة حتى استوعبها جملة فلم يشذ له منها الا ما لا خطر له مقتدراً على ذلك بجدته ويساره . قال : ولما وصل الى المشرق لقي مئين من شيوخها فنقل برواية واسعة وجلب كتباً غريبة .

وذكر صاحب الاحاطة ان ذا الوزارتين ابي عبدالله اللخمي المتوفى سنة ٧٠٨ اكرم العلم والعلماء ولم تشغله السياسة عن النظر ولا عاقه تدبير الملك عن المطالعة والسماع وافرط في اقتناء الكتب حتى ضاقت قصوره عن خزائنها واثرت انديته من ذخائرها . قال ابن خاتمة : كان للشيخ ابي بكر الحكيم الرندي عناية بالرواية وولوع بالادب وصيابة باقتناء الكتب جمع من امهاتها العتيقة واصولها الرائقة الانيقة ما لم يجمعه في تلك الاعصر سواه ولا ظفرت به يداه وكان اقتناء الكتب عند الاندلسيين من شارات الوجاهة وامارات الظرف وقد يجمع الغني ما شاء من كتب وقماطر وهو لا يعلم الفائدة المترتبة عليها وكان اهل قرطبة ارغب في مقتناها من اكثر البلاد الاندلسية . جرت مناظرة بين يدي ملك المغرب المنصور يعقوب بن الفقيه ابي الوليد بن رشد والرئيس ابي بكر بن زهر فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة ما ادري ما تقول غير انه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع آلاته حملت الى قرطبة وان مات مطرب بقرطبة فاريد بيع آلاته وكتبه حملت الى اشبيلية حتى تباع فيها قال ابو الفضل التيفاشي : وقرطبة اكثر بلاد الله كتباً . وروى المقري أن ذلك صار عندهم من آلات التعين والرياسة حتى ان الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة

يحتفل في ان تكون في بيته خزانة كتب وينتخب فيها ليس الا لان يقال فلان عنده خزانة كتب والكتاب بالفلاني ليس عند احد غيره والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفر به . قلت: وهذا الغلو يشبه لعهدنا غلو جماع الطوابع والعاديات والصور وممن كان جماعاً للكتب والدواوين العلمية بالاندلس احمد بن عباس الانصاري فكان معتنياً بها مغالياً بها نفاعاً بها من خصه لا يخرج منها شيئاً لفرط بخله بها الا لسبيلها حتى لقد اثرى كثير من الوراقين والتجار معه فيها وجمع منها ما لم يكن عند ملك — قاله لسان الدين . وقال في ترجمة احمد بن الصفير الخزرجي من علماء الاندلس المتوفى سنة ٥٥٩ انه كان مولعاً بالاسفار كتب من دواوين العلم ودفاتره مالا يخفى كثرة بشدة ضبط وحسن خط وعد في جملة محنته ان ضاعت له في ذلك وفي غيره كتب كثيرة بخطه مما يجل عن القيمة . قال وكان احمد ابن ابراهيم من اهل الاندلس امتحن بان نشأ بينه وبين المتغلب عليه من الرؤساء وحشة فكبس منزله واستولت الايدي على ذخائر كتبه وفوائد تقييده عن شيوخه ما طالت له الحسرة وجلت له الرزية ولما سربت عنه النكبة كانت له الطائلة على عدوه والطائلة الحسنى بعد التياث امره والظفر بكثير من منتهب كتبه وتوفي سنة ٧٠٨

وكان ابو جعفر احمد بن الجواز من اهل القيروان عالماً وجد له خمسة وعشرون قنطاراً من كتب طبية وغيرها . وكان القاسم بن محمد الاشبيلي الامام الحافظ المحدث المؤرخ باذلاً لكتبه واجزائه ووقفها . وكان ابن نغرلة اليهودي كاتب باديس الصنهاجي احد رؤساء الاندلس جماعاً للكتب وكان ضليعاً في العلم كتب عنه وعن صاحبه بالعربي فيما احتاج اليه من فصول التحميد لله تعالى والصلاة على رسوله والتزكية لدين الاسلام .

وكان محمد بن حزم جماعاً للكتب . وكان ابو بكر محمد بن يحيى والد ابي زكريا الراوية من حفاظ النحو واللغة والشعر مولعاً بالكتب جمع منها شيئاً عظيماً .

وكان عبدالله محمد بن عبدالله السلمي المرسي احد ائمة العلم كتب في البلاد التي ينتقل اليها بحيث لا يستصحب كتباً في سفره اكتفاء بما له من الكتب في البلد الذي يسافر اليه . وكان الوزير الكاتب ابو جعفر احمد بن عباس وزير زهير الصقلبي ملك المرية من بلاد الاندلس جماعاً للدفاتر حتى بلغت اربعمائة الف مجلد واما الدفاتر المخرومة فلم يوقف على عددها لكثرتها . وكان المظفر بن الافطس صاحب بطليوس كثير الادب جم المعرفة محباً لاهل العلم جماعة للكتب ذا خزانة عظيمة لم يكن في ملوك الاندلس من يفوقه في ادب ومعرفة — قاله ابن حيان . وقال ابن بسام : كان المظفر اديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق المترجم بالتذكرة والمشتهر ايضا اسمه بالكتاب

المظفري في خمسين مجلداً يشتمل على فنون وعلوم من مغازي وسير ومثل وخبر وجميع ما يختص بعلم الادب .

هذا ما ظفرنا فيه من اسماء غلاة الكتب في عصور الارتقاء في هذه الملة فليته يعود للشرق بعض هذه الهمة في اقتناء المفيد .

نظام الشرب

للدكتور فيلكس رينول نشرت في « المجلة » الفرنسوية

لماذا نشرب

الماء ضروري للحياة . وقد ثبت ان بعض المخلوقات المنحطة كذوات الشديبين تصبر على قلة الماء حتى اذا بُلّت به تعود الى الحياة في الحال . وفي الواقع انها تموت بعد ان تترك بيوضاً ذات قشرة ثخينة تبقى في الجفاف وتنقف في الرطوبة . وترى الحيوانات المائية في البلاد الحارة عند ما يقلّ الماء تتخذ لنفسها وقاية من مادة ملتحمة ثم تخلد الى السبات . ففي بطائح السنيغامبيا التي تجف ثلاثة ارباع السنة سمك غريب « بروتوبتروس انيكتانس » متى اعوزه الماء ينغمس في قالب من الطين الملتحم الاجزاء وينام نوماً طويلاً . ولا يعيش الانسان في القفار وبلاد السهوب المعشبة الا بفضل بعض الينابيع القليلة . والحيوانات على اختلاف اجناسها تردها وهي تربد بلّ صداها .

تحمل الحيوان على الشرب ضرورة دفع العطش والمرء وحده هو الذي يتوقع من الشرب لذائذ اخرى . فهو يتطلب اشربة تبعث شهوته للطعام فيختار لذلك في العادة من الادوية المفتحة ما يتألف من الالكحول ممزوجاً بنباتات مرة كنبات كف الدئب وغيره مما يوصي به الاطباء . يتطلب الاشربة التي تسهل الهضم . والمرق من اكثرها تأثيراً وتغذيته متوسطة ولكن ينشأ عنه ترشح غزير في الاخلاط فتكثر العصارة المعدية ولذلك جرت العادة ان يتناول في بدء الطعام . ويتطلب المرء ايضاً اشربة تسره وتطيب بها نفسه كالقهوة والشاي واللوز المندي والالكحول تحسن صوت القلب وتدفع التعب وتهيج الرأس .

وفي بعض الامثال ان من يقتصرون على الماء تعروهم الكآبة . فاذا كان العامل يتعاطى الالكحول بعد معاطاة عمله الشاق فذلك لانه يريد ان يرى نضرة الحياة . والبحث

عن المسرات من مباديء اعمالنا . ثم ان المرء يتطلب اشربة تغذيه طبيعية كاللبن وجعتزة كالشوكولاتا ومخمرة كالالكحول . وقد تبين اليوم ان الالكحول مادة تدب منها الحرارة في اجسامنا ولكن الافراط في تناوله ملازم لاستعماله .

مدة بقاء الاشربة في المعدة

تقضي الحال بهضم الاشربة كما تهضم الاغذية ويقول الفسيولوجيون ان درجة هضم الطعام تختلف فهي تبع لمكثها في المعدة . وقد رأى بعض الباحثين باستعمالهم آلة الفوناندسكوب ان للمعد اطوارًا في هضم الشراب فاذا فرغت لا تستغني في العادة عن ان يكون فيها كمية قليلة من الشراب فمتى تناول المرء شرابًا يسقط الى المعدة في الحال على خلاف رأي الاقدمين ويمكث فيها زمنًا . ويرون ان المعدة تنقبض وتصعد وتستطيل مارة بالعرض ويرتفع معدل ما فيها حتى يبلغ فم المعدة وهكذا ينزح الشراب على طريقة لا تنقطع

اذا عرفت هذا فلك ان تقول ان الشراب الممزوج بالاطعمة يمر في فم المعدة قبل الطعام لقلة كثافته ويشغل الطبقة العالية منها . ويرى احد الباحثين من الالمان ان المعدة تهضم نصف لتر من الماء في نصف ساعة على حين يبقى اللحم فيها مدة ثلاث ساعات . واذا جرب البحث في الاشربة المختلفة يتجلى ان مقامها في المعدة يختلف كاختلاف الاطعمة في سرعة هضمها وعدمه وقد جرب الطبيبان بيانشي وكونت فعل الاشربة في انسان على الريق فاخذا يعطيانه نصف لتر من الماء فتمتدد المعدة كالكيس وبعد ساعتين فرغ معظم الماء وعادت المعدة الى صورتها السالفة . ومدة بقاء الماء في المعدة تختلف باختلاف درجة حرارة الماء فاذا كانت حارة او باردة تهيج انقباض المعدة فتفرغ بسرعة واذا كانت فاترة تبطيء في انقباضها وينشأ عنها مغص (تحرك الى التيء) اما الماء المبرَّد الذي هو من درجة ١٢ الى ١٣ فانه من احسن المياه للشراب واذا اشتدت برودته يضعف المعدة ويفلجها وربما حدث عنه التهاب فيها .

وتمتدد المعدة بالاشربة الغازية مثل ماء سلتز مثلاً تمددًا كثيرًا وتتسع دائرتها ويطول زمن امتلائها فتجدها بعد ساعتين من تناول الماء وهي محتوية على كمية كبيرة منه . وعليه فالواجب اتقاء الاشربة الكثيرة الغازية كماء سلتز الصناعي الذي ينعش شهوة الطعام الضعيفة قليلاً ثم يحدث عنه في الحال كسل دائم في المعدة . وليس في الخمور المزبدة هذا العائق فان الالكحول الذي يحتوي عليه يقبض المعدة ثم ان مدمنيها يتعاطونها باردة جدًا على درجة برودتها من ٨ او ١٠ درجات واحيانًا على معدل درجتين كما تشرب الشمبانيا المبردة . اما المرق فانه يحدث غازات فتمتدد المعدة ويطول امر تفريغها فاذا هاج المرق

ترشح عصارة المعدة فانه على العكس يبطئ الانقباضات المعدية . بمعنى انه يسكن شهوة الطعام على حين يظهر انه يغذي وليس في تغذيته كبير امر بل ان المرء يشعر بالجوع بعد تناوله سريعاً وعليه فمن الواجب ان يتناول من المرق كمية قليلة كما يجب ان يكون قليل المائية يتناول على انه مسهل للهضم زائد في العصارة المعدية لا على انه غذاء .

اما الاشربة المغذية كاللبن والشكولاتا فانها تجري في المعدة فتتقلص بها مسرعة بعد ساعتين من هضمها ولا يعود فيها غير جزء ضعيف والاشربة الحارة والعطرة تبقى في المعدة اقل من جميع انواع الاشربة ونعني بالاشربة الحارة القهوة واللوز الهندي (كاكاو) والشاي والماتي (١) والاشربة الاخيرة اي القهوة والشاي واللوز الهندي والماتي نافعة للاعصاب بل انها ملينة لها وذلك ان المعد الكسلانة تحسن حالتها اذا استعملتها على ما اثبتته التجارب واعترف به العامة والخاصة في كل زمن .

في اي وقت يسوغ الشرب

لا يكفي بيان اي شراب ينبغي الاعتماد عليه بل ينبغي ان يعرف في اي وقت يناسب تعاطيه . لا جرم ان في العادة قاعدة لذلك . فاللبن والشكولاتا يتناولها الناس في الصباح والخمر مع الغذاء والقهوة بعد الطعام . واذا عرفت هذه القواعد فان السبب في بقائها مجهول على الجملة وذلك لانها تخضع للعادات بدون ان تبحث عن سرها فالمرق او الحساء من المقبلات المعينة على الهضم وهو على جودته يمدد المعدة وهذه تصلح بالخمر الذي يقبضها فاذا لم تكف الخمور المألوفة في تنبيه المعدة الكسلانة فان القهوة التي تشرب بعد الطعام تقوم مقامها وذلك لانها تؤخذ على درجة ٤٥ من الحرارة . والاشخاص المصابون بضعف في اعصابهم يستعيضون عن القهوة بقدح من منقوع الاخوان اذا كانت القهوة تهيج مهم وذلك لان في الاخوان مواد عطرة وحرارتها نافعة كحرارة القهوة . قليل من الخمر على الطعام خير مما يتعاطاه المدمنون فانهم يتناولون منها في الصبوح والغبوق فيأخذون قدحاً في الصباح على الريق ليبعثوا النشاط في اجسامهم ويتناولون المقبلات والمشهيات والالكحول طول النهار . هذه الاشربة اذا جمعت تهيج المخاط المعدي كما تهيج عروق الكبد فينشأ عنها وجع في المعدة ومرض في الكبد اما العارف باشكال الخمر فانه يحافظ على اصول النضج فيتيسر له ان يتناول كمية كبرى من الالكحول بدون ان يشعر بتأثيرات ضارة .

---

(١) الماتي غير مألوف في اوربا ولا في بلادنا وهو ورق يتناول منقوعاً وقد عم استعماله في اميركا الجنوبية وفيه مادة عطرية قلما عرفت وهكذا فان خاصية التهيج في الشاي الاخضر ترجع الى المادة العطرية التي فيه وليس فيه من مادة التنين ما في الشاي الهندي

كيف ينبغي الشرب

لا تكفي معرفة الساعة التي يجدر بها الشرب بل ينبغي ايضاً ان تعرف طريقته . فكما انه ينبغي تناول الطعام بتأنٍ ينبغي كذلك شرب الماء بتأنٍ فالعارف بالشراب اذا ذاق قدحاً من الخمر الجيد يشربه نغبة بعد نغبة ويضعه في فمه شيئاً فشيئاً ويترشفه ليدرك رائحته وتصل به الحال ان يحسن ذوقه بحيث يعرف اصل ما يتناول من الخمر وحالته من القدم وهذه المعرفة تبلغ ارقى درجاتها عند المتذوق .

فالسير على هذه الصفة التي من شأنها التلذذ مما يساعد على الهضم كثيراً وتأثر الاعصاب الذوقية يهيج ترشح الريق فيأتي الماء الى الفم ويحلل الشراب . وقد ابان الفسيولوجيون ان المعدة وان كانت فارغة ترشح عصارة معدية بكثرة . وعند ما يصل اليها الشراب فان كان من المغذيات يهضم بسرعة واذا كان من المهيجات كالالكحول يتحلل ولا يؤثر اصلاً في المخاط . ومن سوء الحظ ان قليلين من المتذوقين يحسنون معرفة طعم الاشربة وذلك لاننا جميعنا الا النادر منا نشرب كما نأكل بسرعة زائدة دون ان نفكر فيما نعمل حتى اذا أصبنا بسوء الهضم نسرع الى استشارة الطبيب وهذا لا بأس ان يوصينا بالتأني ونحن لا نعمل بما يرسم لان الاقلاع عن العادات السيئة يصعب مباشرة والاجدر استعمال الملعقة او ماص ذي عنق طويل كالذي يستعمله المرضى او يستعمل النبيذ الذي يجفف عنيه على القش . ومعلوم ان الطريقة الاخيرة تستعمل في احتساء الاشربة المبردة والاحتياط في ذلك مطلوب واذا تناولنا المرء بسرعة تؤثر البرودة في المعدة وتحدث فيها اضطرابات تضرّ بها .

واصعب من ذلك المدمن الذي يتناول القدح دفعة واحدة فتنتج المعدة وتفعل بسرعة كالآلة فلا يشعر المسكين الا بالحرارة التي تنشأ عن الالكحول فاذا جرى تناوله على هذه الصورة من السرعة ودخل على معدة فارغة من الطعام لا يحلله اللعاب فيدخل الى معدة جافة فيكون من ذلك ما يزيد في المضرة .

المدمن كالشره لا صواب في عمله فالاول مدخول في عقله والثاني شهواني . وارضاء شهوة اقل خطراً من الافراط . وتكفي الشره كمية قليلة من الطعام فاذا اكثر منه تضعف حواسه وينقطع والمجنون بالسكر هو ولا شك مصاب في عقله حقيقة لا يشبع مهما كرع واحسن الطرق في معالجة دائه ان يمنع من السكر على رغم انفه .

الاكثار من الاشربة

يشرب الناس كما يأكلون بسرعة بدون ان يتمهلوا في ذوق ما يتناولون وبعد ذلك يكثرون من الهجة في طعامهم وشرابهم وكتابها عادتان رديئتان متلازمتان . فيشرب

الشارب شرابه بدون شعور منه كما رأى كأسه فرغ يملأوه حتى اذا استوفى حظه يكون قد ملأ معدته بشراب والقى الاضطراب في عقله بابخرة خفيفة من السكر . ومن اصعب الاشياء ان يلح عليك من دعاك الى تناول طعامه وشرابه بالاكثار فتضطر الى امتثال امره ادباً وما هو الا ان تنقلب الى اهلك مريضاً لكثرة ماشربت .

ليست الاشربة الروحية ضارة فقط لما فيها فان التسمم بالالكحول بل بالقهوة بل بالشاي مشهور لدى الخاصة والعامة بل ان ضررها يكثر من تناول الكميات الوافرة منها حتى ان الماء العذب النقي اذا جرى تناوله بافراط يصبح ضاراً فيحل العصارة المعدية ويمنع الهضم ويتعب المعدة والطعام الكثير لا يستلزم اكثر من ثمانمائة غرام من الشراب ولكن الشريب لا يلبث ان يتناول ضعف هذا الوزن او ثلاثة اضعافه على ان قدحين من الشراب اي من ثلثمائة الى خمسمائة غرام تكفي في غذاء متوسط والمكثرون من تناول الجعة (البيرا) يصابون بتمدد المعدة وتضخم البطن وارتخاء البدن وتعب الكلى ويصابون بالزحير وانبساط القلب المفرط فالاكثار ضار على كل حال .

الاشربة الشافية

اذا كان الافراط في تناول الاشربة قتالاً فان استعمالها في بعض الاحيان قد يشفي وكلامي هنا لا يتناول الادوية العديدة كالمياه المعدنية ومياه البزور واللعوق وغيرها من الاشربة التي تجهز على صورة سوائل بل ان في الماء الصرف وحده مساعداً حسناً على التداوي . فقد قام في الازمان السالفة اطباء عالجوا الادواء بالماء واول من سن هذه الطريقة فلاح من اهل العقول الكبيرة اسمه بريسينز اشتهر في اوائل القرن التاسع عشر بعد ان كان خاملاً في قرية صغيرة من سيلزيا من اعمال بروسيا وراح الناس من كل مكان يفزعون الى تعاطي التداوي بالماء للاستحمام او للشرب ومنذ ذاك العهد اكثر الاطباء من وصف التدارسي بالماء . وكيفما كانت طريقة استعماله فان الماء اذا أخذ بكثرة يجلب الانحطاط والسميات ويكثر الاخلاط الضارة بالحياة على الكلى او الجلد . فمن الضروري ان يشرب الماء على الريق لينفع في غسل المعدة فان المصابين بضعف المجموع العصبي تجود صحتهم بتناول قدح من الماء البارد صباحاً عند القيام من النوم وينبغي اختيار ماء نقل فيه المعادن والا فتتعب الكلى . ولقد قام في عصر بريسينز من ينافسه ويصف غير طريقته في نفس قريته التي نشأ فيها واخذ يحظر على الناس الشرب بيناهم في التعريق (العرق) والتعريق بزعمه يدوم من ست الى ثماني ساعات وكان يوعز بالاقلال من الطعام كثيراً وقد فاخر بان كثيرين شفوا على يده بهذه الطريقة ولكن الناس الذين يتحملون طريقته قلائل

اما الآن فقد لطفت طريقة الاستاع عن الشرب لان الطبيب يصف للمصاب بسوء الهضم الذي تقل فيه العصارة المعدية ان يمتنع من السوائل كما يصف ذلك لارباب المعد المصابة بالتمدد والمصابين بالضعف الذين يتحاذرون الامتلاء والكظة . . ولا سيما للشرهين ممن نرى حرمانهم من الاشربة يعدل شهواتهم للطعام بالقوة وفي تلك الحال يكفي تناول قدح في خلال الطعام ولكن ينبغي ان يمتنع عن الشراب ساعتين او ثلاثاً بعده وهكذا صدق المأثور عن النبي محمد (عليه السلام) «الماء في خلال الطعام يعطي قوة»

المشروبات القتالة

ثبت الآن ان من الماء تنبعث الجراثيم الباثولوجية كالهواء الاصفر والحمى والتيفوئيد وغيرها وقلما يعرف الناس ان الماء ينقل بيوض جراثيم الاحشاء كما اوضح ذلك العالم متشنكوف حديثاً وكثيراً من الناس من يحملون في احشائهم جراثيم التيفوئيد بل والكوليرا ولا تضرّ بهم . فالماء يحتوي على حلمات طفيلية بقدر ما يحتوي من الباشلس فاضافة شيء من الالكحول عليه في صورة خمر او غيره من الاشربة المخمرة لا تأثير له ولا تنفع . اما تقطيره الذي طالما دعا اليه الاطباء فلا يؤثر الا اذا بولغ في التدقيق فيه وهو مما يصعب اتخاذه في المنازل حتى ان الماء اذا استقى من نبع يمكن ان يكون ضاراً اذا كان هناك تربة ترشح وفيها شقوق . واحسن الطرق في تناول افضل الماء سالما من المضار ان يطال تعريضه للهواء والشمس فهما يقللان سمية الجراثيم ويقضيان عليها . وبذلك يفهم القارىء كيف ان اهل مدينتي كفرسان وانجر احداهما تشرب من نهر السين والثانية من نهر اللوار هم اقل اصابة بالحمى التيفوئيدية من غيرهما من المدن التي تستقي ماءها من الينابيع وذلك لان تينك المدينتين تشربان الماء بعد ان يمر على مرشحات مبسمة من الرمل والفحم فيتعرّض للهواء وينصفى . اما من حيث الحلمات الطفيلية فان الهواء والنور لا يؤثران فيها . ويقول متشنكوف ينبغي غلي الماء للوقاية منه ولكن هذا الاحتياط يصعب اتخاذه اذ ان الناس اذا تناولوا طعامهم مطبوخاً وامكنهم الاستغناء عن البقول النيئة الا بغسلها بالماء المغلي واذا أكلت من الفواكه ماطبخ او كان قابلاً للتقشير ولم يؤخذ اللبن الا مغلياً فان استعمال الماء المغلي هو في العادة ثقيل لفه لا لذة فيه . نقول ثقيل لانه فقد حامض الكربونيك الذي يوليه الطعم وثقيل لانه زالت عنه مواده المعدنية . على انه يمكن على كل حال ان لا يغالى برداءة الماء المغلي وذلك بان يبرى بالتكرير ويحفظ في مكان رطب .

ويستعمل الجنس الاصفر (اليابانيون والصينيون) الشاي الخفيف في امصارهم لان الماء النقي من الشوائب يصعب ايجاده في بلادهم الكثيرة السكان ونكننا لا نرى استعماله

في بلادنا لان تأثير الشاي اذا أضيف الى تأثير الاشربة المخمرة والاكثار من اللحوم يضرنا اكثر مما ينفعنا . وانه ليطول العمل بهذه النصائح ولكنها تنفع ضعاف الاجسام ممن يريدون عود العافية عليهم كما تنفع صحاح الاجسام ممن يتعرضون لانتهاك القوى والضعف اذا استرسلوا بلا وازع صحي . وحفظ الصحة عدو اللذة .

سباحة العقل

لاتقبل الاجرام عدا كلا ولا الابعاد حدا
العقل يرجع خاسئا عنها وان لم يألُ جهدا
يرقى اليها موربا بالفكر في الظلماء زندا
متجرئا بضياء انـ ـظارٍ بها ان ضل يهدى
وقد استعدّ وكل سا ـعٍ يستعين بما استعدا
فيسبح في ليلٍ به زهر النجوم بقدن وقدا
ويجوز اجوازا لها متعسفا فيكاد يردى
معما ترقى صاعدا الى وراء البعد بعدا
يسمو وينفذ موغلا فيصدّه الاعياء صدا

***

حكت المجرة صارما وحكت سحائبها فرندا
نفسي تود وكيف اه نع فيّ نفسي ان تودا
لو انها وجدت طريـ ـقا منه للشعرى يؤدّى
وتصعدت فتقلدت من النجم الجوزاء عقدا
وبكفها لمست من الـ ـقرب السماء اللازوردا
خادعت نفسي حين لم ارَ من خداع النفس بدا
اني اذا خالفتها كانت ليَ الخصمَ الالدا
يانفس بعد الموت ذا لك كائن فاليك وعدا

***

والعقل يعلم من سبا حتـه التي اولته مجدا

ان المجرة لم تكن الاّ عوالم فقن عدّا
وانصب فيها انجم من الشموس بدن جدا
متحركات في السما ء تخال ان لن تصدا
منقلات في فـ يح فضائها عكساً وطردا
فلها مجاز في مجا تلها تسير به ومعدى
زُرقاً وحمرًا زاهيا تٍ في مجاريها وزُبدا
متجاذبات لو تخلّـ ـف واحدٌ عنها لاودى

***

وهناك اجرام على كرّ الدهور جمدن بردا
ستعيد يوما ما حرا رَتها القديمة او اشدّا
وتمد ثانية اشعّـ تها الى الاطراف مدا
اني لاحسب ان هـ ذا الكون حي سوف يردى
وكذاك احسب كل نجـ ـم جوهرًا للكون فردا

***

والارض بنت الشمس تر ضع من حرارتها وتغذى
وتدور في اطرافها مشدودةً بالجذب شدا
فتطوف مثل فراشة لاقت بجنح الليل وقدا
وبدور محورها توجّـ ه نحو نور الشمس خدّا
لولا دليل الجذب ما ملكت بهذا السعي رشدا
ولأبعدت عن امها فمضت وما الفت مَرَدّا
بل تاه جامد جرمها اوصادمت في السير ضدا
فهناك يهلك اهلها وتكون للسكان لحدا
ويلي لها ان صادمت جرمًا من الاجرام صلدا

***

لهفي على الشبان تخـ ـمد منهم الانفاس خمدا
وعلى الحسان الكاعبا ت عرضن كالرمان نهدا
والورد خدًا والظبي عينا وخوط البان قدا
تردى واكبر في نفو س العاشقين بذاك فقدا

فتموت سلمى في الشبا ب وزينب وتموت سعدى
وعلى الرجال الذائدين عن الرعية من تعدى
كشفت بهم نماؤها واحيل بؤس العيش رغدا
هم البسوا الاقوام اذ فسدوا من الاصلاح بردا
وبنوا بفضل الذب بين الظلم والضعفاء سدا
مثل السيوف المصلتا ت لم تكون الارض غمدا
وعلى الفلاسفة الأُلى كشفوا من الاسرار عدا
وعلى الرجال المحصين العلم تحقيقا ونقدا
ويلي له من حادثٍ يستنفد الاعمار حصدا
ان لم يمت في يومه الا سان فهو يموت بعدا
ما الموت الاَّ منهلٌ تأتيه وفدًا فوفدا
قد مرَّ للمتعممين وطاب للبؤساء وردا
حمدًا لك اللهم في الـ ـبرَّاء والضرَّاء حمدا

***

ماذا تكون الارض بعـ ـد صلاتها اتعود تهدا
اتجد بعد خرابها المظنون للعمران عهدا
ألها اذا بلغت نها يةَ دورها المسعود مبدا
اني لآمل ان تعيـ ـد قوى الحياة وتسترد
وتعيش حيوانًا بها وتكون للانسان مهدا
وتعيد آباءً كما كانوا بها وتعيد ولدا
الارض بالانسان تكـ ـسب بهجةً وتنال سعدا
يا ارض لولا سعيه لم تدركي يا ارض مجدا
هو ذلك السر الذي افشاه مبدعه وابدى
لا تخلقوه لكونه في زعمهم قد كان قردا
فلقد تقدم في الكما ل وبالفضائل قد تردى

بغداد

تهذيب الفرد في المجتمع الانساني

معربة من كتاب علم الاجتماع لهربرت سبنسر

(١)

تهذيب الفرد لفظ يراد منه معاونته على التذرع بالذرائع التي توصله الى حياة تامة في هذا الوجود . والتهذيب من حيث هو يشتمل على امرين احدهما ان يكسب الفرد شيئاً من العلم ثم يعجبه بشيء من العمل وكلاهما نافع . بل هما من الامور التي يترتب عليها قوام معاش الفرد والاسرة والامر الآخر يتضمن ترقي القوى المودعة في الفرد على اختلاف انواعها وهذا الترقي يمكن تلك القوى من نيل اللذائذ التي تهديها طبيعة الوجود والبشر الى نفوس تقبلها وتستطيع ان تستمتع بها .

النوع الاول نحث عليه الاخلاق وتوجبه لان به يحصل التلاؤم بين الفرد ومحيطه ويصح خليقاً بالوجود . ولما كان لهذا النوع علاقة بالحياة كان الحصول عليه من واجبات الفرد نحو نفسه ثم نحو المجتمع . واصحاب العمل البدوي لا ندحة لهم عن احراز هذا النوع من التهذيب لان به معاشهم ولاغنىً عنه لكل فرد من البشر اللبيب الا لمن انتقل اليه شيء من الرزق بالارث فيمكنه ان يعيش به . اما سائر الافراد فانهم اذا اغفلوه ولم يتعنوا له يتعذر عليهم مناصبة الطواري الطبيعية التي تقضي بنسخ الضعيف ليقوم مقامه الاقوى . وينتج من هذا ان الفرد الذي لا يكون متأهباً التأهب التام بهذا التهذيب يصبح كلاً على كاهل سائر الناس هو واسرته وولده فاذا هم ابوا تقديم الضروريات له ولنسله فلا يتخلصون من قلق وسآمة ينالانهم عند مشاهدة عجزهم وألمهم . وهو بلية على البشرية مصدرها اولئك الذين عاثوا في الارض فساداً وبخسوا التهذيب حقه وخلطوا فيه اذ وهموا فيما يتقاضونه فاطلقوه على معلومات ربما حملت في مطاويها ضرًا اكثر من نفع وربما كانت وسيلة لاكثار القاعدين الذين لا طاقة لهم بهذا الوجود . هؤلاء باسم العلم والتهذيب يثقلون مناكب البشر ويكلفونهم بتقديم القوت وسائر الحاجات . يتسمون بسمات لو نزعتها عنهم لرأيت تحتها العجب العجاب .

اما النوع الثاني فليس له نهج خاص ولا يجب ان يمشي في طلبه طرق معلومة والاولى ان تترك القوى وشأنها فلا يكون الواجب مسيطراً عليها بل ليلبها الطبيعة والسليقة وهما تسوقان الفرد الى معرفة اللذائذ التي هو اهل ان يتمتع نفسه بها والتي اذا تغاضى عنها ولم يبال بها كان

ذلك باعثاً على انتقاص سروره وزيادة ألمه . ان اهل الزهد يتخلون عن البشر ويعمدون الى مسخ جسومهم وتعذيب ابدانهم ويحظرون على اتباعهم اية ملذة كانت وينفرون من كل ما يطلق عليه هذا اللفظ على ان تعظيم العامة لهم ومجرّد ذهابهم الى ان العناية الغيبية راضية عنهم فيه من اللذة ما فيه هذا مع انه لا دليل لهم على قبح انفسهم وكراهتهم للذة . وغلوهم في الزهد حدا بفرقة الكوكر (Quakers) ان يندد وا بهم ويحظروهم . وقد رأينا طائفة من الفلاسفة مذهبهم ان السعادة هي اسمى فضيلة وفلسفتهم تدعى الهدونية (Hedonism) فهؤلاء يحرضون على ترقية المدارك والعواطف وتمرينها على معالجة المحسوسات بحيث تصبح خليقة ان تكسب منها كل ما من شأنه جرّ سرور لصاحبها او رفع ألم عنه وعلى التمادي تصل به الى السعادة المنشودة وكله استعداد لحياة تامة وهذا مما يقتضيه التهذيب على ما مرّ بك وتحث عليه الاخلاق .

(٢)

ترى مما تقدم اننا وصفنا التهذيب وصفاً عاماً ونتوخى الآن ان نورد لمحاً عن فروعه المتفاوتة ومآخذه المتعددة . فمن جملة هذه الفروع التهذيب العملي وهو اعظمها خطراً على ان الناس لا يقدرونه حق قدره وقد كاد يهمل امره في كثير من معاهد الطلب وتلافى هذا الخطر اهل النظر فقاموا يشدون أزره وسعوا بادخاله في لوائح المدارس . على ان المنافع التي تنجم عن التمرين العملي والمهارة اليدوية تتجلى لمن توقف معاشه عليها وانحصرت مصادر ضروريات حياته فيها على انه لا يسع من كانوا في غنى عنهما لانوفر لهم من دواعي الثروة واسباب الدعة الا الاقرار بالنفع الذي يتأتى من التحصن بها

ولا نزاع في ان هذا التهذيب يأتي بمرافق خطيرة لمن ينصرفون الى الاشتغال بالصنائع وسائر الاعمال البدنية على انه لا ينبغي ان يعنى به كثيراً في تربية الطلبة الذين عقدوا النية على معاطاة الصنائع في المستقبل لان هؤلاء يتيسر لهم فرص لاتمامه وحسبهم التمرن على شيء طفيف منه . اما الطلبة الذين يتوخون ولوج الدوائر العليا من المجتمع كوظائف الحكومة وسائر الاعمال العقلية فيجب ان تربى فيهم المهارة الفنية والقوى المدركة على السواء لان محيطهم المنتظر لا يمكنهم من الرياضة العضلية وانهماكهم بمضلات المسائل ينسيهم الواجب عليهم لابدانهم .

ثم ان الفرد الذي يهذب عقله وبدنه يكون اقل عرضة لعوامل الوجود وعوارض الطبيعة من مشوّه الجسم وان دهمته نكبة او بغتته حادثة فهو اقدر على درء ضرها عنه وقد يكون عوناً لاخوانه في كثير من الاحايين بيد ان الضعيف من البشر يعرضه ضعفه الى الوقوع

في حبائل النوائب وقد يؤدي به الى الهلكة ان لم ننشه قريبه المقتدر فترى من هذا ان مشاعر الفرد واعضاء بدنه لها غاية واحدة وهي المناسبة والمطابقة بين افعال الفرد وبين الاشياء والحركات التي تتناولها افعاله فوجب اذاً على البشر ان يرقوا مداركهم ومجسوماتهم على السواء لتكون خليقة بافعال ذات شأن حتى يكمل التناسب بين الفرد والمحيط .

ان في الطرائق التي تتخذ الآن في تربية الطلبة نقصاً محسوساً . وما اسخف تربية تلقن برمتها بمثائل تلقى على الطالب ليعيها في حافظته فالعلم معلى شأنه والعمل مهمل امره ولا يسوغ الشطط في وجوه التهذيب فالتمرين العملي واجب وينبغي ان ينظر فيه الى الغاية التي ينشدها الفرد ويريدها ان تكون أساً لحياته ثم هو يتروى في فوائد التمرين ويأخذ منه قدراً ينفعه في ادراك غايته ويهمل مالا يجديه اما المنافع التي تكون من تهذيب القوى بأسرها فما لامراء فيه وهي تظهر في كل عمل من اعمال البشر .

(٣)

التهذيب العقلي هو الفرع الثاني من تهذيب الفرد ولعله ينطبق في مأخذه على الفرع الاول فكما ان في التهذيب العملي رياضة لاعضاء بصور تعدها لمعالجة الاشياء مباشرة فبكذا التهذيب العقلي يوجب تمرين العقل وتجهيزه للمطابقة بينه وبين الاشياء ومعالجته اياها بواسطة الاعضاء . على ان التهذيب العقلي باعلى صوره هو فوق طاقة العامة فيكاد يخفى عليهم ان ثمة علاقة بينه وبين الحياة العملية وان بينهما مطابقة وانه نافع للبشر في تحصيل معايشهم وما ذلك الا لضعف نظرهم في الامور وجهلهم بطبائع الاحوال . فقد نسوا ان العود الذي يرفع به ثقل وان الدولاب والجذع اللذين يستخدمان في باخرة ماهي كلها تطبيق لمباديء العلم في نظريات المحل . نسوا ان تثقيف النبال يقتضي علماً ببعض مباديء القوة والحركة في العلم الطبيعي . واننا نحن نتدرج من هذه المباديء البسيطة في العلم ثم نتطرق الى نتائج رياضية وفلكية وان العلم نفسه نشأ نشوءاً وما زال يترقى حتى بلغ حاله المعهودة الآن وان المعارف المشوشة التي ابتدأ العلم بها قد كانت للبشر اساساً لاكتشاف العلم المنظم والنافع للفرد وبدونه لا يقوى على الحياة . الا ترى ان المعارف العالية سبغى الفلك وسائر الرياضيات هي دليلنا الامين في المعامل ومكاتب اهل العمل التجاري وفي تسيير السفائن والبواخر . وان علم الحكمة والكيمياء ليس لنا عنهما غنى في التجارب العملية والتحليل المادي وعلى الجملة فالتهذيب العقلي يوجب ترقية قوة الفرد ومواهبه وبذلك يؤثر في محيطه ثم يستعد لان ينفع نفسه ويحيا حياة تامة . ولما كان التهذيب العقلي وسيلة لمعرفة طبائع الاشياء وجب توسيع نطاقه مهما امكن فلا يجوز للفرد ان يتخذ جزءاً منه ويغفل اجزاء ولعل هذا

من نقائص الاساليب الحاضرة في تعلم الصنائع . فان العلم ببضعة من المظاهر الطبيعية مع جهل سائرها قد يؤدي الى سقطات فادحة في ابداء الاحكام في احوال الموجودات وقد يتعذر بقاؤه في الذاكرة .

ثم ان لكل شيء وكل عمل في هذا الوجود روابط تربطه الى ظواهر الكون على تباين صنوفها فمنها ما هو رياضي ومنها ما هو طبيعي ومنها ما هو كيماوي ومنها ما هو حيوي وهذه الظواهر جميعها مشتبكة بعضها ببعض حتى ان العلم التام بجملة منها يقتضي العلم ببادىء بقيتها . وقد يستغرب بعضهم من الحث على توسيع التهذيب العقلي الى هذا الحد ويخيل لهم ان ذلك لا ضرورة تدعو اليه على ان تعميم التهذيب على هذا الاسلوب يمكن الفرد من ادراك حقائق كل علم على حدته دع عنك ما فيه من ادراك النتائج الاصلية التي تتفرع عن هذه الحقائق ولا يجب عليه ان يبحث عن تشعباتها ونسبها وتفاصيلها فليس ذلك من شأنها وبعد ان يقف على مبادىء العلوم باسرها يصبح ذا الماممبظاهر الكون جميعها واذذاك يكون قد استعد استعداداً تاماً للاخصاء فيصرف نفسه الى جملة من ظواهر الطبيعة و يعمد الى درسها واتقانها .

ترى من هذا ان الاجتماع نفسه يحث على التهذيب العقلي من وجه مفهم لانه كما عظم شأنه سهل امر معاش الفرد والاسرة . وبالجملة استدرا لمجتمع النفع العام . وهنالك وجه آخر ظاهر يؤيد التهذيب العقلي على انه ليس له علاقة بالحياة العملية وهو مستقل عنها كل الاستقلال وهاك ما نقصد على سبيل الايضاح : — اكثر البشر لا يدركون عظمة الكون وذلك لقلة مادة العلم وكساد بضاعة التهذيب بينهم فالخادم وصاحب الحانوت وحامل العلم والاديب جميع هؤلاء لا يدركون عظمة ما في هذا الوجود من حي وجماد ولا يدركون ما يستطيع ادراكه ناس انقطعوا الى درس حركات الطبيعة وظواهرها . هؤلاء يقدرون ان يبحثوا في دقائق الطبيعة و يسرحوا مخيلتهم في الكون بعد ان يكونوا قد اقصوا عن عقولهم المباحث والخواطر التي تتعلق بالحياة العملية . تصوّر ردهة مزدانة حوائطها بانواع الزين وقد دخلت اليها في جنح الدجى ولم يكن فيها الا شمعة منارة موضوعة بقرب زاوية في الحائط . فبان لك شيء من الزينة والنقوش وخفيت عنك اشياء وبينا انت في هذا الحال أنيرت مئة قنديل كهربائي فازالت من الردهة رداء الظلام الحالك ومثلتها لعينيك بما فيها من الزين والنقوش . هذا مثال ينطبق على ظواهر الكون كل الانطباق فالعلم يعلي شأن الحياة العقلية وكلما كان تهذيب الفرد اتم كان نظره في الكون اوسع .

فينتج من هذا ان درس نظام المظاهر الطبيعية يوجد في الفرد علماً عاماً باحوالها على

انه يؤدي به الى حدود يقف عندها العقل البشري في دهشة و يتقاصر عن تجاوزها كل بحث وعبروا عنها بقولهم ماوراء الطبيعة . وهذا الدرس يمكننا من ادراك العلاقة بين الفرد واسرار الوجود ويخولنا ان نشارك الطبيعة ونتمتع بما تفيضه علينا من سوابغ النعم وعظيم اللذائذ .

(٤)

اما العلم الذي يجب على الفرد ان يتطلبه فعلم الاجتماع وهذا يتضمن الاطلاع على التاريخ ولاسيما ما كان يبحث منه عن الوطن وما له علقة به وينبغي تتبع آثار الامم والرجوع بها القهقرى الى ما قبل انبلاج فجر حضارتها والبحث عن آثارها في لبنان بداوتها لان هذا البحث هو المصدر الذي نشأت منه الحقائق الاجتماعية المتفرقة وهو مهمل في دوائر التربية الحاضرة . ثم انه يجب الوقوف على احوال الامم المشرقية لان ذلك يقتضيه علم العمران ويوجبه . ودرس التاريخ يجب ان يتناول بالاكثر احوال الامة وكل ما ليس له علاقة بالاشخاص على انه لايجوز اغفال سيرة الرجال بتاتاً ولايجب ان يبخس حقه . غير ان المؤرخين افرطوا في الاهتمام به حتى انهم حصروا علم التاريخ بتراجم العظماء . وما زال الاغمار في كل عصر يؤيدون هذا الرأي . وقد صرّح كارليل ان علم التاريخ كناية عن تدوين حوادث قام بها الملوك مضافاً اليه ترجمة حالهم والناس الآن يميلون الى الاطلاع على تواريخ الرجال الغابرين كما يرغبون في الاطلاع على احوال المعاصرين . والغرض من درس التاريخ هو الاطلاع على نواميس النشوء الاجتماعي وهذا لا يتيسر بالوقوف على ترجمة حال الملوك والوزراء والبابوات والقواد ولا بالعلم بما شنوه من الغارات او قاموا به من المحاصرات او احدثوه من المؤامرات وابرموه من المحالفات والمعاهدات .

ثم انك اذا تدبرت الطرق التي ترقى بها المجتمع تر ان رقيه كان بادىء ذي بدء في تقسيم الاعمال وتوزيعها على الافراد وكثيراً ماحدث التقدم بدون رضى الحكام . هذا يدلك على ان النشوء العمراني يجري مجراه فيكيف المجتمع وينوعه غير مبال بالعوائق التي يحاول الكبراء صده بها . ويليق بنا ان نعلم شيئاً من الاعمال التي قام بها بعض الملوك ونطلع على اخلاقهم لما في ذلك من النفع لنا في ادراك مشاهد النشوء التي حدثت في زمانهم والتي ان هي فصلت عن حوادثها وعن اشخاص كان لهم علاقة بها تعذر ادراكها حق الادراك . ثم ان المعرفة المتوسطة من هذا العلم تعيننا على ادراك الطبع البشري ونقف بنا على يفاع نشرف منه على ما بلغه الانسان عند طرفين متناقضين وهما الضير والخير فمن البشر من يسعى الى دمار العمران وخرابه ومنهم من يسعى الى اعلاء شأنه وتوسيع نطاقه .

اما علم الادب فلا ريب ان له شأناً عظيماً في تهذيب الفرد واعداده لحياة تامة ولا يجب مع هذا ان يخص بوقت طويل لاسيما في تهذيب الراشدين واعني بهم من بلغوا من العمر ما يناهز العشرين وذلك لان البشر عموماً يرغبون العمل في امور تلذهم ويستهلون معاطاتها . فالتاريخ المتعارف والشعر والروايات وتراجم العظماء طالما عني بها كثيرون وانصبوا عليها وانصرفوا اليها اما العلم الذي يبحث عن الطبيعة وظواهر الكون فليس للبشر ميل اليه ولذا رجبت العناية به اكثر من الاديبات . على ان للاديبات قدراً عظيماً عند اصحاب الهدونية (Hedonism) يتخذونها من وسائل بلوغ السعادة لان عليها تترتب البلاغة في الحديث والطلاقه في اللسان ومنها تكتسب العبارة جزالة ورقة وبها تتولد اللذائذ العقلية وتنصبغ المشاريع الاجتماعية ولولاه لكان الحديث كناية عن الفاظ يتفاهمون بها وهي خلو من الحياة كالجسم اذا فقد الروح .

(٥)

بيد ان البشر يتطرفون جداً في متابعة تهذيب الفرد فمنهم من يفرط فيه ويغفله بتاتاً فيخسر فوائده جهلاً . ومن سلك هذا المسلك هم السواد الاعظم من البشر ومنهم من يفرط فيه كأن ينصرف بكليته اليه فيؤدي به هذا الافراط الى اضرار ربما كانت مهلكة .

قال اميرسون: ان من شرائط التهذيب الاولية ان يكون الفرد حيواناً قوياً وهو قول ينطبق على افراد البشر بدون تفرقة . فالحياة التي تزري بالوجه الحيواني من الفرد ليست حياة . وان كان يعذر صاحبها في بعض الاحوال فانه ملوم على وجه العموم . ولو تقصينا احوال البشر ومعارفهم لظهر لنا انه لا يمكن انفصال العقل عن الحياة ولا انفصال الحياة عن الاجسام ونتبين انه لا يمكن ان يحيا الفرد حياة تامة الا اذا كان قوي البنية شديد العضل وان الاعتداء على شرائع الصحة الطبيعية يؤدي بالفرد الى مضار طبيعية ويجلب مع الزمن مضار تشوش العقل وتضعضع احواله . ثم انه لا ينبغي للفرد ان ينصرف الى التهذيب الاعلى الا بعد ان يكون عرف انه اكمل الواجب عليه من سائر مطالب الحياة ولا يجب ان يكون تهذيبه عقبة امام نشوء الجسم ولا ان يتوخى منه التمرين على الحركات القانونية التي تتضمن الالعاب اليدوية فان هذه لا تنفع في الحياة الا قليلاً . ومن الخطإ الفادح الاهتمام المفرط بالتهذيب بحيث تنتهي الحال بالانسان ان ينصرف به عن سائر اللذائذ الطبيعية وقد يولد فيه هذا الافراط سآمة تناله في نفس الموضوعات والاشياء التي اخذ النفس بها ولعل هذا الكره متأت عن الضغط الشديد على النفس واكراهها على سلوك مسلك مذموم . وان الافراط في تهذيب النساء تهذيباً عالياً مذموم في ذاته لما يجلب عليهن من الاضرار

الجسيمة قال بعضهم : ان جامعتي غرتون (Girton) ونيهم (Newnham) في كمبردج (Cambredge) ليستا على صواب في تهذيب البنات لانهما متطرفتان والتهذيب الذي نستعملانه مناف للصحة الجيدة . وهو قول حق اذا أُخذ على بابه . على ان قائليه يخلطون في فهم معنى « الصحة الجيدة » ويعنون بها سلامة الجسم من التوعك والانحراف الظاهرين . اما نحن فنريد منها ان يكون الفرد ذا مزاج قوي وان يكون فيه نشاط في الحركة . فترى ان القول المار ذكره صحيح وان كان فكره مغلوطاً فيه . وان هناك بوناً شاسعاً بين معاني الصحة فالناس ينظرون الى الظواهر

ومن الغريب ان كثيراً من النساء يخدعن بظواهرهن فيظن الناظر اليهن انهن متمتعات بصحة جيدة غير انهن في الحقيقة غير خليقات بانشاء نسل صالح لحفظ النوع ذلك ان في المرأة فضلة من الكريات الحيوية ليست في الرجل خلقت لانشاء النوع البشري فاذا أُرهقت الاعضاء بالاهمال والافراط في التهذيب الاعلى كان ذلك باعثاً على نقصان تلك الفضلة وقد تبقى المرأة قادرة على التوليد لبقاء ما يقتضيه في بدنها من القوة الحيوية فلا يشعر بذلك النقصان . ثم انه تتلف من الجسم مقادير عظيمة من الكريات في اعمال اخرى غير اعمال التوليد كالحركات اللازمة للحياة العملية وما يندثر من الدماغ عند اعمال الفكرة واعمال الروية وانفعال المتأثر به وما شاكل من الاتلاف الحيوي الذي يؤثر على التمادي في كريات التوليد فيضعفها . فترى من هذا ان قوة التوليد في المرأة تضعف على نسب متفاوتة فطوراً تضمحل فلا تستطيع المرأة الولادة وتارة تولد ولكنها لا تستطيع الارضاع وفي بعض الاحوال تتأتى اضرار لا اقدر ان اصرح بها . ومن العواقب السيئة التي تنجم عن الافراط في تهذيب النساء وقوع النفرة والتباعد بين الزوجين وهو من النتائج الدقيقة التي لا تظهر الا لاصحاب التروي .

ولو هذبت لوائح المدارس عندنا (انكلترا) بطرق مطابقة للعقل لتأتى للنساء التهذيب الضروري لهن وتخلصن من مضار التربية الحاضرة . يجب ان يلغى منها كل ما يعبث بها من المضار ويبقى كل نافع . ولا يمنع ولاة الامور من الغاء الطوائق الحاضرة الا زعمهم انها موافقة لمقصود التربية .

على ان التربية باسمى معانيها تقتضي الحصول على شيء من العلم ضروري لكيان البشر نافع لانارة الاذهان وتوسيع العقول مقصود به اعداد الفرد لحياة كاملة وما تجاوز ذلك كان فيه غلو عقيم وافراط سقيم .

(٦)

سبق لنا في هذه المقالة ان الاخلاق توجب تهذيب الفرد وتحث عليه وهناك موجبات

عمرانية ثمنها ما هو غيري ومنها ما هو اناني . اما الانانية فهي تحتم على الفرد ان يتحلى بالتهذيب العقلي لان به تترقى قواه ويطيب له المعاش وان هو اغفله وجهله كان اشبه بالحيوان منه بمخلوق عاقل . والغيرية تقاضى الفرد ان يبذل من قواه شيئاً في سبيل سرور غيره فان لم يكن مهذباً يستحيل عليه نفع المجتمع الانساني .

وافضل انواع التهذيب هو التهذيب الفني واعني به درس الفنون الجميلة كالموسيقى والتصوير والشعر ولا يجب ان يتوخى فيه فقط النفع الشخصي والسعادة الذاتية وانما ينبغي ايضاً ان يعنى به لانه يهيء الفرد لنفع محيطه وهذا هو الموجب الغيري . على ان للوجه الانساني شأناً عظيماً في هذا التهذيب لان الفرد الذي يتعلم الموسيقى وسائر الفنون ينال من اللذة ما يتعذر استمتاع غيره بها ممن ليس على شيء من العلم بها .

الا ان الافراط في التهذيب الفني ليفضي بصاحبه الى اضرار شأن الافراط في سائر انواع التهذيب العقلي ولذلك وجب الاعتدال لان التطرف فيه يذهب الوقت و يضيع العمر سدى . واقبح المضار التي نجم عنه مشاهدة فى النساء اللواتي انصرفن الى الفنون الجميلة واغفلن سائر الاعمال . ومع ان الاخلاق تحث على التهذيب الفني فهي تشدد النكير على الافراط فيه ولا ترضى عن اساليبه في هذا العصر . وما احسن البحث في الوسائل التي انبعثت عن الغلو في حب الموسيقى فان ذلك يظهر كل الظهور ان المغالاة سوس ينخر عظام الامم حتى ينتهي بها الى العدم .

القاهرة خليل الخوري

المطلقة

بدن كالشمس يخضبها الغروب فتاة راع نضرتها الشحوب
منزهة عن الفحشاء خود من الخفرات آنسة عروب
نوارٌ تستجد بها المعالي وتبلى دون عفتها العيوب
صفا ماء الشباب بوجنتيها فخامت حول رونقه القلوب
ولكن الشوائب ادركته فعاد وصفوه كدر مشوب
ذوى منها الجمال الغض وجداً وكاد يجف ناعمه الرطيب
اصابت من شبيبتها الليالي ولا يدرك ذوابتها المشيب

وقد خلب العقول لها جبين تلوح على اسرته الكروب
الا ان الجمال اذا علاه نقاب الحزن منظره عجيب

***

حليلة طيب الاعراق زالت به عنها وعنه بها الكروب
رعى ورعت فلم تر قط منه ولم ير قط منها ما يريب
توثق حبل ودها حضورًا ولم ينكث توثقه المغيب
فغاضب زوجها الخلطاء يومًا باسر للخلاف به نشوب
فاقسم بالطلاق لهم يمينًا وتلك آلية خطأ وحوب
وطافها على جبل ثلاثًا كذلك يجهل الرجل الغضوب
وافتى بالطلاق طلاق بت ذوو فتيا تعصبهم عصيب
فبانت عنه لم تأت الدنايا ولم يعلق بها الذام المعيب

***

فظلت وهي باكية تنادي بصوت منه ترتجف القلوب
لماذا يانجيب صرمت حبلي وهل اذنبت عندك يانجيب
ومالك قد جفوت جفاء قالٍ وصرت اذا دعوتك لا تجيب
ابن ذنبي اليّ فدتك نفسي فاني عنه بعدئذٍ اتوب
اما عاهدتني بالله ان لا يفرق بيننا الا شعوب
لئن فارقتني وصددت عني فقلبي لا يفارقه الوجيب
وما ادماه ترتع حول روض ويرتع خلفها رشأ ربيب
فما لفتت اليه الجيد حتى تخطفه بازمتيه ذيب
فراحت من تحرقها عليه بداء ما لها فيه طبيب
تشم الارض تطلب منه ريحًا ونحب والبغام هو النحيب
وتمزع في الفلاة لغير وجه وآونةً لمصرعه تؤوب
باجزع من فؤادي يوم قالوا برغم منك فارقك الحبيب

***

فاطرق رأسه خجلاً واغضى وقال ودمع عينيه سكوب
نجيبة اقصريني عني فاني كفاني من لقاء الندم اللبيب
وما والله هجرك باختياري ولكن هكذا جرت الخطوب

فليس يزول حبك من فؤادي ... ولو عاش الحبيب دونك لي يطيب
ولا اسلو هواك وكيف اسلو ... هوى كالروح فيّ له دبيب
سلي عني الكواكب رهي تسري ... بجنح الليل تالع او تغيب
نسكم غالبتها بهواك سهدًا ... ونجم القطب مطلع رقيب
خذي من نور رنتين شعاعًا ... به للعين تنكشف الغيوب
والقيه بصدرك وانظريني ... ترى قلبي عليك به ندوب
وما المكبول ألقي في خضم ... به الامواج تصعد او تصوب
فراح يغطه التيار غطًا ... الى ان تم فيه له الرسوب
باهلك يا ابنة الامجاد مني ... اذا انا لم يعد بك لي نصيب

***

الا قل في الطلاق لموقعيه ... بما في الشرع ليس له وجوب
غلوتم في دياناتكم غلوًا ... يضيق ببعضه الشرع الرحيب
اراد الله تيسيرًا وانتم ... من التعسير عندكم ضروب
وقد حلت بامتكم كروب ... لكم فيهن لا لهم الذنوب
وهى حبل الزواج وثق حتى ... يكاد اذا نفخت له يذوب
كخيط من لعاب الشمس ادلت ... به في الجو هاجرة حلوب
يزقه من الافواه تفث ... ويقطعه من النسم الهبوب
فدى ابن القيم الفقهاء كم قد ... دعاهم للصواب فلم يجيبوا
ففي (اعلامه) للناس رشد ... ومزدجر لمن هو مستريب
نحا فيما اتاه طريق علم ... نحاها شيخه الحبر الاريب
وبين حكم دين الله لكن ... من الغالين لم تعه القلوب
لعل الله يحدث بعد امرًا ... لنا فيجيب منهم من يجيب

بغداد معروف الرصافي

مخطوطات نادرة

اما وقد خصصنا شطرًا من هذا الجزء للكلام على محاسن الكتب وغلائها فيجدر بنا ان ننقل هنا من كناش الشيخ طاهر الجزائري وناهيك بما يقع عليه اختيار هذا الاستاذ الكبير بعض المخطوطات النادرة من الاسفار المحفوظة في خزائن الكتب العامة في الاستانة ودمشق وحلب والقاهرة و باريز نسوقها هنا ليرجع اليها من يتصدون لطبع الكتب او يرغبون في الاستنساخ تعميماً للفائدة .

علم الحكمة

من الجدير بالطبع والاحياء في دار الكتب الخديوية بالقاهرة في هذا الفن (١) تلخيص كتب ارسطو الاربعة وهي المقولات والقضايا والقياس والبرهان لابن رشد (٢) تلخيص كتب ارسطو الاربعة وهي السماع والسماء والعالم والكون والفساد والآثار العلوية لابن رشد (٣) ويلي ذلك كتابان له اولهما في اثبات اقاويل المفسرين المطابقة لما قاله ارسطو في العلم الطبيعي ثانيهما في النقاط الاقاويل العلمية من مقالات ارسطو الموضوعة في علم ما بعد الطبيعة (٤) مقالات ارسطو الموضوعة في علم ما بعد الطبيعة (٥) مقالات ارسطو لابي الفرج عبدالله بن الطيب كتب سنة ٤٨٠ (٦) الانصاف لابن سينا (٧) التعليقات له .

وفي مكتبة اللالهلي بالاستانة (٨) شرح الاشارات لابن كمونة اليهودي (٩) شرحها للسيف الآمدي (١٠) المعارف العقلية للغزالي (١١) في مكتبة ايا صوفية بالاستانة الحكمة المشرقية لابن سينا (١٢) كتاب في الحكمة الجديدة لابن كمونة اليهودي ٦٧٦ (١٣) كتاب في المناظر للحسن بن الهيثم (٤) العمل بالكرة الفلكية لقسطا بن لوقا البعلبكي (١٥) تحرير اقليدس لمحيي الدين المغربي (١٦) مجموعة الرئيس ابن سينا فيها رسالة في معرفة الله وصفاته وافعاله واخرى في قصائد الشيخ واخرى في مسائل دارت بينه وبين بعض المتكلين واربعة في خطبة الشيخ وخامسة في امر المبدي (١٧) ومجموع آخر للرئيس ايضًا فيه رسالة في الارزاق . وفي ايراد البراهين على مسائل عويصة وثالثة في اثبات النبوة ورابعة في اقسام العلوم العقلية وخامسة في حل مشكلات في الهيئة .

وفي المكتبة العثمانية بالاستانة (١٨) ترجمة كتب ارسطو لاسعد اليانيوي ١١٣٤ وفي مكتبة الناتح (١٩) مختصر صوان الحكمة لحجة الحق عمر بن سهلان . وفي مكتبة راغب باشا (٢٠) شرح النجاة للشيرازي (٣١) المدخل في الموسيقى للفارابي (٣٢) في مكتبة بني جامع بالاستانة (٣٣) نهاية الادراك للقطب الشيرازي . في مكتبة الكوبرلي (٣٤)

الكاشف لابن كمونة محمد بن منصور اليهودي (٢٥) المنتخب من صوان الحكمة لابي حيان محمد بن طاهر السجستاني. في المكتبة الاحمدية في حلب (٢٦) المباحث المشرقية للفخر الرازي

علم التاريخ

في دار الكتب الخديوية (٢٧) الاعلام بالحروب الواقعة في صدر الاسلام ليوسف البياسي ج ٢ (٢٨) در السحابة في مواضع وفيات الصحابة للصفاني (٢٩) طبقات فقهاء اليمن (٣٠) تجارب الامم وتعاقب الهمم لابن مسكويه طبع منه الجزء السادس (٣١) المغرب في حلي اهل المغرب لستة سادسهم ابن سعيد سنة ٦٧٢ كتبه بخطه للخزانة الكالية بحلب (٣٢) نهاية المشتاق للادريسي محلى بالذهب كتب سنة ٧٤٨ (٣٣) الدرر الكامنة في المائة الثامنة للحافظ ابن حجر (٣٤) المقتضب من كتاب جمهرة النسب لياقوت الحموي .

في مكتبة بشير اغا بالاستانة (٣٥) منتخب تاريخ الحكماء ويسمى صوان الحكماء لابي القاسم البيهقي . في مكتبة الكوبرلي (٣٦) احوال الهند للبيروني (لعله المطبوع في اوروبا) (٣٧) انباء الغمر بابناء العمر للحافظ ابن حجر سنة ٨٥٢ (٣٨) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي نسخة ٤ (٣٩) تاريخ مصر ودمشق للعلم البرزالي ٧٣٨ (٤٠) ترجمة الشاهنامة الى العربية للشرف الاصفهاني (٤١) تنبيه الملوك لعمرو الجاحظ (٤٢) كتاب الخراج لابي الفرج بن قدامة (٤٣) دول الاسلام للحافظ الذهبي (٤٤) الذيل على الروضتين (٤٥) ذيل تاريخ الذهبي لعبد الرحمن العراقي (٤٦) شذور العقود في تاريخ العهود لابن الجوزي (٤٧) طبقات الادباء لياقوت الحموي (٤٨) عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والاقران للبقاعي ٥٨٥ (٤٩) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر والمختصر صاحب لسان العرب وهو ٢٩ مجلداً اكثره غير موجود .

وفي مكتبة الفاتح (٥٠) سيرة الملك الظاهر لمحيي الدين بن عبد الظاهر (٥١) فتوح مصر والمغرب لعبد الرحمن القرشي . وفي مكتبة اللالهلي (٥٢) مختصر تاريخ الطبري لابن العميد سنة ٦٧٣ . في مكتبة ايا صوفية (٥٣) اعيان العصر للصفدي (٥٤) تاريخ حلب لابن العديم (٥٥) تاريخ صنعا واليمن (٥٦) العبر للذهبي مع ذيله لتلميذه الحسيني (٥٧) المنتظم لابن الجوزي ج ٨ (٥٨) تجارب الامم لابن مسكويه ج ٦ (٥٩) ذيل مرآة الزمان لموسى اليعلبكي ٧٢٦ (٦٠) الدر الثمين في سيرة نور الدين للبدر ابن شهبة . في مكتبة راغب باشا بالاستانة (٦١) تاريخ الحكماء للشهرزوري . في مكتبة يني جامع بالاستانة (٦٢) طبقات الفقهاء لابي اسحق الفيروزابادي . في مكتبة حلب (٦٣) الوافي للصفدي ج ٤ (٦٤) مختصر تاريخ الذهبي ج ٦ (٦٥) عيون التواريخ في مكتبة باريز (٦٦) تاج

المشرق في تحلية علماء المشرق (٦٧) تاريخ ابن الفرات (٦٨) الاعلام والتبيين في خروج الفرنج على بلاد المسلمين (٦٩) تكملة تاريخ الطبري (٧٠) الدرة المطبرة في شعراء الجزيرة (٧١) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة .

كتب الادب

في دار الكتب الخديوية (٧٢) شمس العلوم لعلامة اليمن نشوان بن سعيد الموجود منه جزء من اربعة ذكر فيه نبذاً من كل فن (٧٣) التكملة والذيل والصلة لحسن الصنعاني ٦٥٠ وهي في ست مجلدات مضبوطة جمعها من نحو الف كتاب (٧٤) سر الصناعة لابن جني (٧٥) المحيط للصاحب بن عباد ٣٨٥ الموجود منه الثالث (٧٦) الصينيات لفضل الله الزوزني فرغ منها سنة ٧٤٠ عارض بها المجديات . في مكتبة الكوبرلي في الاستانة (٧٧) سحر البيان للجاحظ (٧٨) الزاهر في تفسير غريب الفاظ الامام الشافعي للازهري (٧٩) كتاب ليس في كلام العرب لابن خالويه (٨٠) تاريخ ابي مسلم الخراساني (٨١) رسالة في اول كتاب صنف في الاسلام . في مكتبة الفاتح (٨٢) البصائر والذخائر لابي حيان التوحيدي نسخة ٥ (٨٣) رسالة في مدح العلوم وذمها للجاحظ . مكتبة اسعد افندي بالاستانة (٨٤) شرح نهج البلاغة لحسين الاردبيلي . مكتبة اياصوفية ومكتبة ولي الدين في الاستانة (٨٥) مكاتبات الغزالي . مكتبة عاشر افندي في الاستانة (٨٦) كتاب التيجان لابن هشام (٨٧) مدح الكتب والحث على جمعها للجاحظ . في مكتبة بني جامع بالاستانة (٨٨) التوسل الى الترسل لمحمد بن مؤيد البغدادي . في مكتبة حسام الدين بالاستانة (٨٩) ترسل القاضي الفاضل . في مكتبة باريز (٩٠) المختار من رسائل الوزير ابن عباد

كتب مختلفة

دار الكتب الخديوية (٩١) نصائح للزمخشري انشأها سنة ٥١٢ اولها احمده على ما اروح من آلائه في تضاعيف بلائه (٩٢) المدهش لابن الجوزي (٩٣) ادب السلوك لعبد المنعم الجيلاني رتبه على ٦٠ مشرعاً . في مكتبة اياصوفية (٩٤) الاخلاق لابي الليث السمرقندي (٩٥) تقويم سياسة الملوك للفارابي (٩٦) ارشاد الملوك لسداد السلوك لابراهيم الهندي (٩٧) نهج السلوك في سياسة الملوك لعبدالرحمن بن نصر (٩٨) السياسة في تدبير الرياسة للفرغاني . في المكتبة العثمانية (٩٩) رسالة في الاخلاق لعبدالله بن المقفع (١٠٠) كنز العلوم لابن تومرت . في دار الكتب الخديوية (١٠١) الطراز في فنون الاعجاز للسيد يحيى اليمني فرغ منه سنة ٧٢٨ (١٠٢) النقائض بين جرير والفرزدق لابي عبيدة سنة ٢٠٩ (١٠٣) رسالة في القبان لعيسى الاندلسي (١٠٤) الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية

المطوفي (١٠٥) ايمان العرب في الجاهلية للخيبري الكاتب (١٠٦) العمدة في علم الكتابة لعبدالله الميتي (١٠٧) حواش على درة الغواص لابن بري سنة ٥٨٢ ولابن ظفر سنة ٥١٥ (١٠٨) ذيل على درة الغواص للجواليقي . في مكتبة الداماد ابراهيم باشا بالاستانة سر الصناعة لابي علي الحاتمي ٣٨٣ في مكتبة الكوبرلي (١٠٩) في آلات الساعات والعمل بها لرضوان الخراساني (١١١) كتاب المفاخر للحسن بن الهيثم (١١٢) كتاب المغازي لمحمد بن اسحق (١١٣) كتاب في نسب قريش للزبير بن بكار (١١٤) مختار الاغاني للجمال بن مكرم (١١٥) قانون الادب للغليسي (١١٦) مجموع رسائل لابن سينا (١١٧) كتاب ليس في كلام العرب لابن خالويه (١١٨) فيما نقل الكندي من الفاظ سقراط . في مكتبة الفاتح (١١٩) نزهة الملوك في الطب والسياسة للرازي في سنة ٣١١ (١٢٠) البصائر والذخائر لابي حيان التوحيدي نسخة ٥ في المكتبة العمومية (١٢١) انموذج العلوم للفخر الرازي (١٢٢) مختصر حلية الآداب للعماد الكاتب (١٢٣) نقائض جرير والاخطل لابي تمام مكتبة دمشق (١٢٤) المدبجات لعبد المنعم الجلياني . في مكتبة ايا صوفية مجموع في الرسائل التي دارت بين النصير الطوسي والصدر القونوي

الكتاب

كتابي لا اروم سوى كتابي ... فكم خففت فيه هموم ما بي
اجيل الطرف فيه فيجتلي لي ... مخائل حكمة في كل باب
اذا غمزت قناة الدهر قلبي ... اداوي في مباحثه مصابي
لان اخطأت في فكري ببحث ... ففيه قد هديت الى الصواب
وان شاهدت من قومي جفاء ... يسليني باقوال عذاب
حوى خير الزمان بما اتاه ... وما يأتي الى يوم الحساب
غدا عمن تقدم ترجمانا ... يخبرنا باخبار عجاب
اعاتبه اذا خطب دهاني ... فليس يمل من كثر العتاب
تراه اخرسا وتراه يحكي ... بابلغ ما تريد من الخطاب
كتوم ان بثثت اليه سرا ... وان حايت غيرك لا يحابي
فكم نادمته بالليل وحدي ... فينفيني عن الخود الكعاب

وكم فيه سكرت من المعاني فعفت لطيبها طيب الشراب
تكفل بالعلوم فكل علم حواه لا يؤول الى ذهاب
فما حاسبته الاّ تراه خبيرًا بالدقيق من الحساب
فمن والاه نال هدى وفضلاً ومن عاداه راح الى عذاب

بغداد السيد عبد القادر العبادي

اليونانه

تقدم اسبارطة

الاعضاء الثلاثون — سقراط — اجازيلا

الاعضاء الثلاثون — لما غدا القائد ليزاندر صاحب آثينة اكره اهلها على تنظيم حكومتهم بحيث لايخرجون عن حكمه بتاتًا . فانشؤا مجلسًا مؤلفًا من ثلاثين عضوًا انتخبوا من اتباع الحكم الديمقراطي وكانوا قبلُ حاولوا النزوع الى الثورة ليفصموا عرى الدستور وعهد الى هذا المجلس ان يؤلف دستورًا جديدًا ويحكم آثينة بدون ان يرجع الى رأي احد ولا ان يراعي قانونًا . وأقيمت لحماية هذا المجلس من سطوة الآثينيين حامية من الجند تحت امرة قائد اسبارطي في قلعة الاكروبول المشرفة على المدينة . وهذه كانت طريقة الحكم التي وضعها ليزاندر في المدن اليونانية في آسيا والجزر عند ما اخرجها من محالفة آثينا

خول هؤلاء الاعضاء سلطة لا نهاية لها وشعروا بانهم مؤيدون بالجيش الاسبارطي فانشؤا يحكمون حكم السادة القادة ويقبضون على اشياع الحكم القديم وينفذون عليهم الاحكام وربما كانت سيطرتهم لتناول الاغنياء متخذين ذلك حجة في مصادرة اموالهم ثم لقب اولئك الاعضاء بالثلاثين ظالمًا . وانتهت الحال بترامين احد الاعضاء وكان تآمر على الديمقراطية واتفق مع الاسبارطيين ان قال لرصفائه بانه قُتل اناس كثيرون فيجب الكف عن ازهاق الارواح فما كان منهم الا ان اتهموه بالخيانة وطردوه من المجلس وحكموا عليه بالاعدام .

وقد فرّ كثير من الوطنيين من آثينة ولجؤا الى البلاد المجاورة ولا سيما الى ميكار وثيبة واستولى احد هؤلاء النازحين المدعو ترازيبول في ٧٠ من اصحابه على قلعة من اعمال

اتيكيا في الجبال على طريق بيوسيا عنوة فجاء الاعضاء الثلاثون في اشياعهم يداهمونه الا انهم رُدوا على اعقابهم وحاولوا ان يحاصروا القلعة ولكن رجع رجالهم الى آثينة لما هطل الثلج وبعثوا بالحامية الاسبارطية وبالفرسان فهجم تراز يبول عليهم وقتل منهم ١٢٠ رجلاً ولحق بتراز يبول نازحون جدد فلما اجتمع له منهم الف رجل اجتاز اتيكيا فاستولى على مرفإ بيريه ونزل في مونيشي وراء معاقل اتخذها للتحصن فتقدم الاعضاء الثلاثون في رجالهم الا انهم ردوا على الاعقاب . وعندئذ نزع اشياعهم السلطة منهم واعطوها الى مجلس مؤلف من عشرة طلب معونة اسبارطة فبعثت هذه اليها بليزاندر حاكماً من قبلها وحاصر بيريه بالسفن . ثم وصل ملك اسبارطة في جيشه ووصل الى آثينة وامر بالكف عن القتال وفصلت حكومة اسبارطة بين الفريقين وزخصت لجميع النازحين ان يعودوا الى آثينة فدخل تراز يبول ورجاله اليها وهم مدججون باسلحتهم وصعدوا الى قلعة الاكروبول يقدمون ضحية للمعبودة . ثم اعاد الآثينيون الدستور القديم وتراجع الاعضاء الثلاثون في اشياعهم الى الوزيس فقصدهم الآثينيون وهاجموهم وقتلوا الزعماء وارجعوا الباقين ثم اقسموا كلهم ان لا تنزع الاحقاد من صدورهم لما انتشب من الحرب الاهلية وهو مما دعي بالمدنة « النسيان» ولم تعد تحدث ثورة في آثينة بعد .

ضعف المملكة الفارسية — شغل اليونان بقتال بعضهم بعضاً فكفوا عن مهاجمة الخاقان الاعظم بل واخذوا يسعون في محالفته . وكانت المملكة الفارسية لا تقل عن ذلك في تيهاء الضعف فاصبح الحكام لا يخضعون للحكومة بتاتاً ولكل منهم بلاطه وخزائنه وجيشه يحارب من يشاء وقد امسى قيلاً « ملكاً صغيراً » في ولايته وكان الملك اذا اراد ان يعين والياً مكان آخر لا يجد الى ذلك سبيلاً الا بقتل السلف فتقدت ملكة الحرب من نفوس الفرس بعد ان كانوا امة يرتجف لذكرها جميع شعوب آسيا . وهاك كيف وصف الفرس كسينوفون احد ضباط اليونان الذي كان موظفاً عندهم : انهم ينامون على البسط ويلبسون قفافيز في ايديهم ويتدثرون بالفرو ويُلبس الكبراء حجابهم وخبازيهم وطباخيهم وحماميهم والخدمة الذين يخدمونهم على موائدهم ويطيبونهم ويعطرونهم ليجعلوا منهم فرساناً موظفين ويرجحوا اجورهم ولئن كانت جيوشهم كثيرة العدد فلم يتنفع بها في شيء وسهل على المرء ان يحكم عند ما يرى اعداءهم يطوفون بلاد فارس احراراً اكثر من اصحابهم ولا يجرؤن اصلاً على قتال بعضهم بعضاً عن أمم والفرسان مسلحون كما كانوا سابقاً بالسيف والترس والفأس ولكن لم تكن لهم الجرأة على استعمالها . وكان سائقو المركبات الحاصدة قبل ان تصل الى العدو تلقي بنفسها عمداً او تقفز الى الارض بحيث ان تلك المركبات اذا خلت من سائقيها

تجدث لهم ضررًا اكثر مما ينشأ منها للاعداء على ان الفرس لا يكتمون انفسهم ضعفهم العسكري و يعترفون بانحطاطهم في هذا الشأن ولا يجرأون على الدخول في المعارك بدون ان يكون بعض الروم في جيوشهم . ومن قواعدهم ان لا يقاتلوا اليونانيين بدون ان يكون لهم منهم مساعدون .

حملة العشرة آلاف — شوهد هذا الضعف عند ما سار كيكاوس سنة ٤٠٠ اخو الخاقان الاعظم ارتاكسركيس ليخلفه وكان في تلك البلاد اذ ذاك ألوف مؤلفة من نزاع الآفاق او المنفيين من اليونانيين يؤجرون انفسهم اجنادًا فدعا كيكاوس عشرة آلاف رجل منهم حتى ان احدهم كسينوفون كتب يصف حملتهم . فاجتازوا بلاد آسيا الى حدود الفرات بدون ان يقف احد في وجوههم ثم اقتتلوا بالقرب من بابل . واخذ اليونان جريًا على عادتهم يعدون مسرعين وهم يصرخون صريخ الحرب وقبل ان يكون البرابرة على رشد غلوة بادروا الى الهزيمة فلحقهم اليونان وهم يتصارخون ان لا يفارق احدهم صاحبه . ولما انتهت اليهم مركبات الحرب فتحوا صفوفهم ليتركوا لهم سبيلاً الى المرور ولم يصب يوناني بادنى ضرب ما خلا واحدًا جرح بسهم .

جرح كيكاوس وتشتت جيشه بدون ان يقاتل وظل العشرة آلاف يوناني وحدهم في داخلية بلاد محاربة امام جيش عظيم ومع هذا لم يجسر الفرس ايضًا على مهاجمتهم ولكنهم غدروا فقتلوا خمسة قواد لهم وعشرين ضابطًا ومائتي جندي جاؤا لعقد محالفة . ولما اصبح اولئك المستأجرون من الجند بلا قواد وضباط انتخبوا زعماء جددًا وحرقوا خيامهم ومركباتهم وركبوا الى الفرار ودخلوا في جبال ارمينية الوعرة وعلى ما نالهم من الجوع وكثرة الثلوج وسهام القبائل الوطنية التي لم ترض ان تفسح لهم مجالاً للمرور وصلوا الى البحر الاسود ورجعوا الى ارض يونان بعد ان قطعوا مملكة فارس وبقي منهم لدن عودتهم « سنة ٣٩٩ » ٨٠٠٠ جندي .

اجازيلا — وبعد ثلاث سنين داهم اجازيلا ملك اسبارطة بغير جيش صغير بلاد آسيا الوسطى وليديا وفريجيا المشهورة بغناها وخصبها وقاتل الولاة والعمال وراح يدخل الى آسيا ولكن الاسبارطيين ارجعوه ليقاتل جيوش التيبيين والآثينيين . وكان اجازيلا اول يوناني قام في ذهنه ان يفتح بلاد فارس فحزن ان رأى اليونانيين يقتل بعضهم بعضًا ولما اخبروه بتمام لغلبة كورنت قائلين له انه هلك فيها ثمانية من الاسبارطيين فقط وعشرة آلاف من العدو لم يفرح بهذا النصر بل تنفس الصعداء وقال : « مسكينة انت يا بلاد اليونان التعسة لقد اضعت رجالك وكان لك فيهم وحدهم غناء في اخضاع عامة البربر » .

وأتى ذات يوم ان يخرب مملكة يونانية قائلاً : « اذا ابدنا جميع اليونان الذين لا يقومون بواجبهم فاين نجد رجالاً للتغلب على البرابرة ؟ » وهذا الشعور كان قليلاً على عهده . قال مترجمه كسينوفون عند ما اورد هذه الكلمات لا جازيلا هاتفاً « من كان غيره يرى من المصيبة ان يغلب عند ما كان يحارب شعوباً من جنسه » .

عظمة ثيبة . ابامينوداس

مقاومة اسبارطة — جاء زمن كانت فيه اسبارطة صاحبة السيادة براً وبحراً . قال كسينوفون : وكانت على ذلك العهد جميع المدن تخضع لامر يصدر عن احد الاسبارطيين ولما ضاقت صدور المتحالفين مع اسبارطة من الخضوع لها الفوا عصابة لمقاومتها . فكان من ذلك ان طرد الاسبارطيون اولاً من آسيا ولم يسلم لهم سلطانهم على بلاد اليونان بضع سنين الا بمحالفتهم لملك الفرس «٣٨٧» بعد ان استيلاءهم لم يدم طويلاً فكان في سهل بيوسيا شعب شديد البأس بشجاع النفس وهؤلاء البيوسيون الذين شهرهم جيرانهم الآثينيون وربما على غير استحقاق قد ظلوا منقسمين بين احدى عشرة مدينة وكانت ثيبة اقواها سقطت على حين غرة في ايدي الاسبارطيين فادخل زعيم حزب الاشراف المحاربين من الاسبارطيين القلعة واوقف زعيم حزب الديمقراطيين ونفذ عليه القضاء المبرم .

واذ لم يرض اربعمائة رجل من اهالي ثيبة ان يظلوا تحت حكم الاسبارطيين لجؤا الى آثينة . فعزم احدهم المدعو بيلوبيداس وهو شاب من أسرة شريفة غنية ان ينقذ بلاده كما فعل تراز يبول في تخليص وطنه فراح يقيم في قرية مع جماعة من المنفيين واتفق مع الثيبيين الذين بقوا في ثيبة فدخل في احدى ليالي الشتاء الى المدينة في رجاله وداهم الحكام وهم في مأدبة فذبحهم ومن الغد دعا مجلس الامة فهتف له هذا بانه محررها من اسر العبودية . وعندها سلمت الحامية الاسبارطية التي كانت في القلعة . وعادت ثيبة مستقلة وعملت على ان تجمع تحت ادارتها جميع مدن بيوسيا لتسير جميع البيوسيين تحت لواء واحد لحرب اسبارطة .

ابامينوداس — كان ابامينوداس هو الرجل الذي نظم حالة الثيبيين فخففت به لم اعلام النصر . وكان من اسرة شريفة الا انها غنية فاعتاد نوعاً من الحياة القاسية وظل يعيش فيها مثلاً من الطعام لا يتناول الخمر وليس له غير رداء واحد ولا مال لديه . فصيح اللسان الا انه يندر ان تراه يتكلم ولا يقول الا الحق « وهذا مما لم يكن من عادة اليونان » شجاع جداً في الحروب ولكنه مفرط في الانسانية متضع شديد البأس يحبه ويحترمه كل من يراه . ولم يكن يعنى بصراع المصارعين الذي كان يشوق سائر ابناء يونان بل انه اعتاد

السباق واللعب بالسلاح واخترع ضرباً جديداً من القتال . وكان الثيبيون كسائر اليونانيين قد اختاروا العادة الاسبارطية فيصطف الجند الرجلي منهم كتائب كتائب على ثمانية الى عشرة صفوف وكانت جيوشهم في كل مكان في تعبئتها نمطاً واحداً تؤلف مثلثاً ذا زاوية قائمة مستطيلة ورقيقة فكانوا اذا حمل جندهم على العدو يشعرون بان تروسهم المعلقة على اذرعتهم الشمال تحميهم من اليسار ومن اليمين صفوف رفاقهم يحمون الجنة بالطبع بحيث ان الجناح الايمن من الكتيبة يشعر بانه اقوى ما يكون في العادة . فتخيل ابامينوداس ان يعيد رجاله على شكل زاوية قائمة مؤلفة على طولها من صفوف متساوية في عددها بل ان يضع في الجناح الايسر صفوفاً اكثر من الايمن فتأخذ الكتيبة شكلاً غير متناسب يشبه شكل زاوية قائمة . فيكون الجناح الايسر اضخم من الايمن ومؤلفاً من احسن المحاربين يحمل حملة منكرة على جناح العدو الذي يكون اضعف منه فينكس وسط جيش العدو ويأخذه من جنبه فدافع الثيبيون عن بلادهم بادىء بدء من الجيش الاسبارطي الذي بقي بداهم بيوسيا في ربيع كل سنة اعواماً كثيرة ويقطع الشجر ويحرق الغلات ولم يجسر ان يقاتل قتالاً منظماً بل كانت غاراته مناوشات فقويت شكيمتهم وتمرسوا في الحرب . رأى ابامينوداس ان جيشه قد اعتاد قراع الابطال وقوي ساعده في حومة النزال وكانت الرجالة من جند الاسبارطيين اصطفت على عمق اثني عشر مقاتلاً بالقرب من لوكترس وكانت رجالة الثيبيين اقلّ وفرسانهم اكثر « لان بيوسيا كانت بلاداً تربي فيها الخيول الجياد » فاستطاع ابامينوداس ان يحمي الميسرة وكان من ذلك ان اختصر خط الحرب وحمل الجناح الايسر من جيشه وكان مؤلفاً من خمسين صفاً فبدد شمل الجناح الايمن من الاسبارطيين حيث كان الملك واقفاً فقتل «٣٧١» وهذه كانت المرة الاولى التي تغلب فيها جيش يوناني على جيش اسبارطي واصبحت ثيبة المدينة المتقدمة اكثر من جميع مدن يونان وصارت لها الامرة على بيوسيا كلها وكانت الشعوب اليونانية في المورة الى ذاك العهد خاضعة لاسبارطة فالتمست معونة الثيبيين لنيل استقلالها . فانشأت مدينة ماتينه في بلاد اركاديا اسوارها على الرغم من دفاع اسبارطة وذبحت نخبة الاغنياء احلاف اسبارطة وكان الاركاديون من سكان الجنوب مشتتين الى ذاك العهد في القرى فانضموا بعضهم الى بعض وانشأوا مدينة حصينة سموها ميكالوبوليس ثم اراد ابامينوداس جمهور الثيبيين على ان يذهبوا الى غزو الاسبارطيين في عقر دارهم فدخل الجيش البيوسي الى بلاد المورة وكثر سواده بالاركاديين واهالي ارغوس وتوغل في اقليم لاكونيا وطفق يعسكر امام اسبارطة «٣٧٠» وكانت هذه هي المرة الاولى التي رأى فيها الاسبارطيون العدو في ارضهم . وقد

يكن لاسبارطة اسوار فسلح اجازيلا «وكان قد بلغ اذ ذاك من العمر ٧٦ سنة» جماعة الجيولتيين وحصن الآكام المحيطة بالمدينة .

ولم يجسر ايباميندواس على الهجوم واذ كان عاجزاً عن اطعام جيشه سيفي البلاد التي استباح حماها وجعل عاليها سافلها استرجعه ادراجه وقبل ان يغادر المورة جمع المسينيين وقد اصبحوا منذ ثلاثة قرون رعايا الاسبارطيين واعانهم على انشاء مدينة قوية سميت ميسين وعادوا يلون شعثهم . وتحالفت اسبارطة مع الآتينيين الذين كانوا يحسدون الثيبيين كما حالفوا اهل سيراكوزة ومع الجبار ديس الذي بعث اليها بالمحاربين الغاليين فغلب الاركاديون احلاف ثيبة . وعندها حاولت ثيبة ان تنال معونة ملك الفرس وارسل القائد بيلوبيداس الى آسيا وآب يحمل كتاباً من الخاقان الاعظم الذي وعد ان يحارب اليونان الذين لا يقبلون بحالفة ثيبة «٣٦٧» اما سائر المدن فلم تكن تخشى ملك الفرس وابت ان تخضع له .

ولم تكن ثيبة من القوة لتخضع الى سلطانها جميع بلاد اليونان فظهر ايباميندواس على احسن حال في بلاد المورة مع الجيش البيوسي وحالف المسينيين ثانية وحاول ان يدمر اسبارطة واذ بلغ ذلك اجازيلا كرّ راجعاً وراح ايباميندواس يهجم على جيش العدو في اركاديا بالقرب من مدينة ماتينه وظفر في هذه المعركة باتخاذه الاسباب التي اتخذها في لوكترس ولكن اصابه سهم فمات ليومه . وفقد الثيبيون به قائداً يقودهم وانتهت ايام عز ثيبة ولم يبق مما قام به القائد ايباميندواس الا مدينة مسيسينا التي اصبحت مملكة مستقلة وسقط سلطان اسبارطة من بلاد المورة كما سقط من بلاد اليونان .

نتائج الحروب — لم تؤد هذه الحروب الى تأليف اليونانيين كافة امة واحدة اذ لم يكن لمدينة من مدنهم لا اسبارطة ولا آتينة من القوة ما تكره به سائر المدن على الطاعة لها والخضوع لسلطانها وما كان منهم الا ان ينهك بعضهن قوى بعض ويكافح بعضهن بعضاً وكان ذلك من حظ ملك الفرس الذي استفاد من هذا الانقسام ولم تبلغ الحال بالمدن اليونانية انها لم تتفق عليه بل انها كانت كل واحدة على حدتها تحالفه للانتقام من سائر ابناء يونان وقد صرح الخاقان الاعظم (٣٨٧) في معاهدة انتالسيداس بان جميع المدن اليونانية في آسيا هي ملك له ولم تخالف اسبارطة قوله ذلك ولا نقضت زعمه وكذلك كان شأن آتينة وثيبة بعد بضع سنين فقد قال خطيب آتيني : «ان ملك الفرس هو الذي يحكم بلاد اليونان ولم يبق عليه الا ان يقيم له عمالاً في مدننا . اليس بيده الحل والعقد في بلادنا ؟ اما نحن فندعوه الخاقان الاعظم كما لو كنا عبيده ؟» وهكذا اضاع اليونان بتفاشلهم وتدابرهم ما كانوا غنموه في حرب مادي .

سير العلم

التنفس الصناعي

وفق الاستاذ بو بعد اشتغال ثلاثين سنة الى تكميل آلة التنفس الصناعي وهي مؤلفة من اسطوانتين صغيرتين لهما بوقان موضوعان بحيث يمكن تحريكهما معاً فاحداهما توصل كمية من الاوكسيجين والاخرى تأتي بالهواء ويناط في كل منهما انبوب توضع طرفه على مناخير الذي يراد تنفيسه وقد جربت هذه الآلة في الارانب والكلاب فحسنت نتائجها .

حامض الكربون

أنشيء معمل في اوفرن من اعمال فرنسا لصنع حامض الكربون السائل وهو يكثر في ارض تلك الناحية وكان من قبل يضيع منه في الهواء ملايين من الامتار المكعبة وهذا الغاز احسن بطبيعته من المصنوع فاخذت فرنسا تحذو حذو المانيا في الانتفاع من انحائها البركانية فتصنع في اليوم ملايين الكيلوغرامات من حامض الكربون السائل وعدد ينابيع الغاز التي يمكن الانتفاع بها ستة وستكون لاهل تلك الناحية مورد ربح عظيم .

جوهر صناعي

الكوروندون Corindon حجر لطيف يعتبر بعد الماس بشيته ويسميه صياغ الافرنج الجوهر الشرقي وهو ذو ألوان مختلفة فمنه الوردي والاصفر والازرق والبنفسجي والاخضر واللازوردي وقد اكتشفت احدى الشركات في اميركا معدناً تستخرج منه بطرق صناعية ما يشبه الجوهر الشرقي بصلابته ولا يقل عنه رواء ومتى كثر انتشاره تسقط قيمة الماس الطبيعي اكثر مما سقطت .

كتب العميان

الآنسة هيلانة كيلر هي ممن ابتلاهن الله بالعمى والصمم والبكم وقد خدمت ابناء جنسها بان سعت الى تعليمهن خدماً نذكر فنبين لها بعد الاختبار ان الطرق المألوفة لتعليمهن بحروف نائتة او محفورة او غيرها ليست من السداد في شيء وتؤدي الى ان الاعمى الالماني لا يستفيد من مثيله الفرنساوي ولا الاميركاني من الانكليزي ولذلك ترى توحيد طريقة تعليم العميان والصم البكم على طريقة برايل الفرنسوية وربما عقدت مؤتمرات لذلك .

التدفئة الكهربائية

اصطنعت شركتان للكهربائية في اميركا ادوات من الكهربائية لتستخدم للتدفئة وتوليد الحرارة ارخص من توليد الحرارة من الغاز بثلاث مرات .

عالمة عاملة

ذكرت الصحف انه عهد للآنسة هاس ان تنظم مجموعة المستندات الرسمية في نيويورك لانها اقدر قيمة على الكتب والدفاتر في جميع الولايات المتحدة وهي مديرة دار الكتب العامة في نيويورك . وقد عجبت المجلات من ان تكون مجموعة الاعمال الرسمية في الولايات المتحدة من ترتيب امرأة ادبية ولكن هو العلم يشترك بعد الاخذ منه الاسود والابيض والنساء والرجال

الرقص

انشأت فرنسا في بعض ثكناتها مدرسة لتعليم صغار الضباط الرقص على انواعه وكان لها من قبل في كل معسكر مدرسة للرقص اذ ثبت ان الرقص ينفع الصحة ويزيد انشراح النفس وهو من المتممات للرياضة الصحية المسلية وكان نابوليون الاول يكره جنده على الرقص قبل انتشاب المعركة وبعدها وفي كل فرقة في روسيا معلم للرقص .

قضاة الانكليز

ينسبون معظم الفضل في تحري قضاة الانكليز الحق في بريطانيا لكثرة الرواتب التي يتقاضاها الفرد منهم فان قاضي القضاة يقبض ٢٥٠ الف فرنك في السنة والقضاة العاديون ١٥٠ الفاً وفيهم من يقبض ٢٠٠ الف وقضاة المقاطعات يتناولون ٣٧٥٠٠ فرنك وعند الانكليز ٦٠ قاضياً يقضون في خمسمائة محكمة وعند فرنسا ٣٠٠ قاض لثلاثمائة وخمسة وسبعين محكمة وهم يقبضون اقل من ذلك بكثير ولكن انكلترا تعطي قضاتها رواتب باهظة وتطلب منهم عملاً حسناً كثيراً .

مدرسة المثريات

اقسمت الولايات المتحدة ان تكون رأساً في عامة اسباب الحضارة والعمران فمن جملة مدارس البنات العالية عندها مدرسة اكوتز في ضواحي فيلادلفيا بنيت وسط حدائق ذات بهجة وهي عبارة عن قصور ملوكية حوت ارقى درجات الترف والرفاهية وفيها دار تمثيل كبرى وحديقة للشتاء . واجرة تعليم الفتاة الواحدة فيها عن السنة المدرسية وهي ثمانية اشهر عشرة آلاف فرنك .

الطب في البلاد العثمانية

كتب احد اطباء العثمانيين فصلاً ضافياً في مجلة العالم الاسلامي الفرنسوية تكلم فيه على طب التجارب والطب الاصولي ومدارس الطب والمستشفيات في الاستانة والولايات وصناعة الطب فقال ان الطب في البلاد العثمانية قبل افتتاح المدرسة الطبية في الاستانة سنة ١٨٢٧ كان عبارة عن تجارب وما كانت الامة تعتقد على ذلك العهد بالطب الغربي بل ولم يكن لها ثقة حتى بالطب التجربي وكانت تكتفي بالعثاقير تأخذها من دساتير الدجالين على غير جدوى والمسلمون يضيفون الى هذه الطريقة المألوفة في القرون الوسطى في التداوي القول بالادعية للاستشفاء. وكانوا يرونها نافعة في امراض كثيرة ولا سيما الامراض الباطنية والعصبية وان هذه العادات ما برحت شائعة على كثرة المعتقدين بتأثيرات الطب وليس هذا الاعتقاد خاصاً بالمسلمين بل ان المسيحيين كان لهم مثال منها في حضارتهم وتاريخهم واستشهد بحديث «آخر الدواء الكي» وقال ان بعض القوم يصفونه فينفعهم وان الحكومة لما انشأت المدرسة الطبية الاولى في الاستانة كان اساتذتها اجانب وكانت تدرس بالفرنسوية ولم تدرس بالتركية الا سنة ١٨٧٣ ولم يكن رغبة للمسلمين في تعلم هذه الصناعة فتتق على الاساتذة الذين اخذوا بتدريس الطب بالتركية بادىء بدء ثم اخذوا يتعلمون المصطلحات الطبية ويؤلفون لها مفردات من العربية والفارسية والتركية واذا صعب عليهم التعبير عنها بلفظ عربي او تركي او فارسي يأتون باللفظ اللاتيني او الفرنسوي بدون ان يعمدوا الى اخذ شيء عن الانكليزية والالمانية.

وبعد ان ذكر كيفية تدريس الطب واورد اسماء مشاهير الاطباء العثمانيين من المسلمين والارمن والروم ومعاملة طلبة المدارس واحوالهم قال ان في البلاد العثمانية مدرستين طبيتين ملكيتين احداهما في الاستانة والثانية في دمشق. وعدد المستشفيات العثمانية ووصفها فقال ان في الاستانة وضاحيتها عشرة مستشفيات ما عدا مستشفيات المدارس وفي الولايات وهي احدى وثلاثين ولاية ١٢٢ مستشفى اهمها في الحواضر وقال ان تشريح الجثث ممنوع في المستشفيات العسكرية والملكية ولا يجري الا اذا حدثت جناية او في السجون وتدعاق منع التشريح تقدم الطب مع انه من جملة برنامج دروس المدرسة الطبية الكبرى وهو غير مناف الاسلام لان السلطان محمود الثاني استصدر فتوى من شيخ الاسلام في الترخيص بالتشريح فافتاه بذلك.

وقال ان المستشفيات البلدية في الاستانة اربعة وان عدد المستشفيات البلدية في الولايات اربعة وعشرون وفي الاستانة ثلاثة مستشفيات خاصة واحد للارمن والثاني

للاسرائيليين والثالث للروم وفيها مستشفيان احدهما الماني والثاني فرنسوي وختم كلامه بالكلام على الدجالين من الرجال والنساء والعثمانيين والاجانب ممن يمارسون اعمالهم في السر سواء كان في الاستانة او في الولايات ويربحون ما يربحون لفرط استسلام الناس اليهم وتفضيلهم احياناً على غيرهم .

تحريم التقبيل

رأى كثير من الاطباء في مؤتمر لهم عقدوه في احدى مدن اميركا ان يسن قانون يحظر التقبيل على المتزوجين بل على الامهات وعلى ذوي القربى والاخدان المحابين ورأوا ان تعلق على حوائط المدينة اعلانات يذكر فيها عدد الجراثيم التي بلعقتها المقبل بشفتيه على خد المقبل . قالت المجلة التي ننقل عنها وما هو ياترى رأي هؤلاء النطاسيين لو حضروا عيد القبل في رومانيا وهو الذي يجيء فيه البنات والفتيات زرافات من جميع اطراف القرى المجاورة تحمل كل منهن سجلا او دلواً من الخمر مزيناً بالرياحين ويقبلن كل من يصادفنه في طريقهن من شفتيه ثم يقدمن له السجل ليسقى منه ويرتوي ومن ابى ان يتناول ما يقدم له يعد عمله اهانة . ويارب كم من الجراثيم تنتقل من فم الى آخر يوم ذاك العيد وفي تلك العادة الغريبة .

كلام النساء

كان يظن ان كثرة كلام النساء آت من ضيق عقولهن اما الآن فقد اثبت الاستاذ ماراج من كلية السوربون بباريز ان اقتدارهن على الكلام ناشيء من متانة صدورهن وذلك انه بحث في اصوات الرجال واصوات النساء وقاس مقدار ضغط الهواء الصادر من الفم فظهر له ان المتكلم من الرجال يتعب اربعة اضعاف المتكلمات من النساء وان النساء لا يتعبن من الكلام بقدر ما يتعبن اذا استعملن مراوحهن .

المناطيد

كان لسباق المناطيد شأن عظيم في فرنسا والمانيا في العهد الاخير وتفننت الامم في تطييرها لفتنا ذكرت الجرائد السيارة اكثره وآخر سرعة قطعتها المناطيد الالمانية كانت ١١٠ كيلومترات في ساعتين و١٧ دقيقة والمنطاد الجديد اشبه بسفينة طوله ١٢٨ متراً وعمقه ١١ متراً و٧٠ سنتيمتراً وقطره ١١٤٣٠ متراً مكعباً وهو على شكل اسطواني ينتهي بمخروط سنيني وفيه ست عشرة غرفة في كل منها منطاد من القماش منفوخ بالهيدروجين .

جريدة بالتلفون

الف احد كتاب الاميركان سنة ١٨٨٨ كتاباً خيالياً ذكر فيه كيف يعيش الانسان بعد مئة سنة ومما قاله ان طريقة تبليغ الاخبار وسماع الموسيقى وخطب الاندية والمؤتمرات ستنقل الى الناس بواسطة التلفون فضحك بعضهم من هذه النبوءة ولكن مدينة بودابست عاصمة المجر قامت تحقق اليوم ما نبأ بحدوثه ذاك الكاتب فاسست شركة تلفون تنقل لاهالي تلك العاصمة بواسطة مائتي عامل لها يعملون بلا انقطاع في اسلاك تلفونية طولها ثلثمائة كيلومتر الى خمسة عشر الف مشترك اخبار العالم وانباءه البرقية وحوادث اليوم وانباء المجالس النيابية والخطب السياسية واخبار البورصة والاسواق وحوادث الشرطة والقضايا المرفوعة امام المحاكم وشذرات من صحف بست وفينا وانباء الظواهر الجوية والاعلانات وغيرها كل يوم من الساعة الثامنة صباحاً الى الساعة العاشرة مساء وتنقل للمشتركين الفاظ الممثلين في اشهر دور التمثيل كما يلقونها والمواعظ كما يفوه بها اصحابها وغيرها والمشترك لا يدفع لقاء هذه الاخبار التي تنقل اليه باسرع ما يكون سوى عشرين سانتيماً في اليوم وستسارع باريز ولندن وبرلين وغيرها من العواصم الى تأليف شركات من هذا الطراز .

نظافة الشوارع

اصبحت نظافة شوارع لندن وبرلين المثل المضروب عند الامم بنظافتها على كثرة الحركة فيها ولا سيما لندن اعظم عواصم الارض فان برلين تمنع المارة من القاء الورق دع عنك الفضلات في الشوارع ولندن تستخدم ألوفاً من الاطفال يحمل كل منهم مكنسة ورفشاً لتناول السرقين حالة وقوعه وجعله في علب كبيرة تجمع وتباع من ارباب الحدائق سماداً للارض من انفع ما يكون .

تبخير الموتى

يقول كوى المستشرق بان عادة حرق الخشب الذكي الرائحة اكراماً للاموات كانت مألوفة في المدينة قبل الاسلام وبقيت بعده راسخة .

نفقات التعليم

في احصاء اخير ان المدارس الابتدائية البلدية في انكلترا تسع ٣٥٢٠٠٠٠ الف تلميذ والمدارس الاهلية ٣٥٠٩٩١٤ تلميذاً وقد كان معدل من اختلفوا الى المدارس الاولى سنة ١٩٠٥ — ٣١٩٩٠٥٠ تلميذاً وان المدارس الاهلية ٢٨٤٢٦٥٤ تلميذاً وبلغت نفقاتها ٢١٣٢٣٢٧٤ جنيهاً منها ١١٠٢٢٦٠٠ دفعتها الحكومة و١٠٣٠٠٦٧٤ دفعتها

المجالس البلدية ويبلغ سائر ما انفق على التعليم ٢٠٤٠٩٦٤ جنيهاً منها ١٥٥٦٤٨٠ جنيهاً دفعتها الحكومة و١٤٨٤٤٧٦ جنيهاً من موارد معينة اي ان برنامج معارف انكلترا يبلغ خمسة وعشرين مليوناً من الجنيهات في حين ان حكومة مصر تنفق على ضروب التعليم اقل من اربعمائة الف جنيه . بل الانكى من ذلك ان ولاية فيكتوريا في اوستراليا وسكانها مليون وربع تنفق على تعليم اولادها عشرين مليون فرنك .

التعليم في الهند

يؤخذ من الاحصاء الاخير ان عدد المدارس في ولاية مدراس من اعمال الهند قد كان سنة ١٩٠٦ — ٨٣٩٩١٠ وكان قبل ٨٤١٠٣٤ مدرسة ونزل معدل الصبيان الذين يتعلمون فيها فصار ٢٩ بالمئة كما زاد معدل المتعلمات من البنات فاصبح خمسة وكسوراً في المئة وكان يجب ان يكون في المدارس تسعمائة الف متعلمة فلم يأتها غير ثمانية واربعين الفاً بحيث اضطرت مدارس كثيرة الى اقفال ابوابها والحكومة لم يتيسر لها ان توزع ما خصصته للانفاق على المتعلمين والمتعلمات اما في اقليم بنجاب فقد ساءت حالة التعليم اكثر وذلك ان ١٤ في المئة من البنين يختلفون الى المدارس و٢٨ — ٢ في المئة من البنات .

ثروة فرنسا

يؤخذ من احصاآت المواريث ان ثروة الافراد تكثر في فرنسا فبعد ان كانت الايرادات اربعة مليارات فرنك سنة ١٨٧٣ اصبحت سنة ١٩٠٢ ستة مليارات وارتفعت وايرادات المنقولات من مليار سنة ١٨٧٣ الى مليار وثمانمائة الف فرنك سنة ١٩٠٣ وليس لامة بقدر ما لفرنسا من المنقولات خارج بلادها وقد زادت وارداتها من مليار و٥٨ مليوناً سنة ١٨٧٣ الى مليار و٨٩٤ مليوناً سنة ١٩٠٣ وكان دين فرنسا سنة ١٩٠٤ مليارا ونحو نصف مليار .

اتحاد التربية

تحاول دوقية باد في المانيا ان تدخل الى مدارسها طريقة الوحدة في التربية حيث يتعلم الاناث بجانب الذكور في مدرسة واحدة وقد كان عدد البنات اللاتي تعلمن سنة ١٩٠٦ في المدارس العلمية والصناعية مع الصبيان ٥٣ ابنة واخذت المدارس العالية تقبلهن ويقبلن على التعليم فيها .

البطالون في انكلترا

بلغ هذا العام عدد من ليس لهم عمل في بلاد الانكليز مليون نسمة اي ان واحداً

من كل اربعين ليس لهم عمل وربما يستكثر بعضهم هذا العدد وهو كثير الاّ ان جميع الممالك مصابة بداء البطالة والسبب في ذلك ان القرى يقل سكانها ويكثر سكان المدن وليس في هذه اعمال تقوم باعالتهم فقد كان الفلاحون سنة ١٨٩٠ ثلث مجموع سكان بريطانيا فهم الآن خمسهم وكذلك الحال في المانيا فقد بلغ عدد المشتغلين بالزراعة فيها ٢١ مليونًا من اصل ٦٢ مليونًا والباقون يعملون في التجارة والصناعة ·

التيسير في السياحة

كتب احدهم في بعض المجلات العلمية في تيسير السفر في النصف الاخير من القرن الماضي والاقتصاد والراحة التي نشأت فيه قال ان المسافر كان يقضي ستين ساعة في قطع المسافة بين باريز وبوردو وهي ٦٨٥ كيلومترًا اعني انه يقطع نحو عشرة كيلومترات في الساعة وكان يدفع اجرة عن كل ساعة في المركبة لا تقل عن ١٤ سانتيماً ما عدا الاكل ومن يسافر مع البريد يؤدي ضعف هذه الاجرة كما يقطع المسافة في اقل من ذلك بقدر النصف اما الآن فان المسافة تقطع في السير السريع بالسكة الحديدية في سبع ساعات وعشرين دقيقة والاجرة ليست فاحشة ·

الكتابة على الزجاج

الكتابة على الزجاج تسلية لا تتطلب غير المران عليها ولكي ينجح الانسان فيها ينبغي له قلم رصاص من معدن الالومنيوم يمكنه صنعه بنفسه وذلك بان يلف عليه شيئًا من هذا المعدن ثم يبلّ الزجاج بلاّ خفيفًا او يغشيه بمحلول ملح القلي ويبرع في هذه الكتابة من سبق لهم انهم عانوا التصوير قليلاً ·

مدرسة الممرضات

اقتبست فرنسا من انكلترا انشاء المدارس لتعليم الممرضات وقد انشئت مدرسة في بوردو منذ ثلاث سنين تخرج فيها من الممرضات احسنهن وافضلهن وقد جعلت هذه المدرسة داخل مستشفى فتتولى مديرتها امر ممرضاتها وتعلمهن وتمرنهن كأنهن تلميذات في الطب ومتى تمرن حصصهن ينقلن الى غرفهن او يصرفن اوقاتهن في قاعة كبيرة جعلت فيها خزانة كتب ومحال للمطالعة والكتابة او الى الضرب على البيانو ·

الموظفون الفرنسويون

احصى احد الباحثين عدد الموظفين في الجمهورية الفرنسوية فقال انهم كانوا سنة ١٨٤٦ ١٨٨ الفًا فاصبحوا الآن ٤٠٠ الف واذا عدّ فيهم موظفو المقاطعات والعمالات بلغوا ٥٣٠

الفاً والشناعات وعطف انتخاب المناصب على ذوي قرباهم Le favoritisme, le népotisme هي السبب في هذه الزيادة الفرطة التي تكلف نحو مليار فرنك في السنة اذا أضيفت اليها رواتب المتقاعدين

مكتبة تجدد

وصف احد فضلاء الفرنسيس المكتبة التي انشأها كارنجي الغني الاميركي في مدينة ادمبرغ التي هي من بريطانيا كمدينة آثينة من يونان ايام عزها فقال ان ليس فيها كتب نفيسة كثيرة بل فيها ادلة وكتب ارشادات وتقاويم وخطط وغيرها معروضة على المناضد للمطالعة فيرجع اليها المختلفون الى تلك المكتبة لاول ساعة وعددهم كل يوم لا يقل عن ٧٠٠٠ وان ٤ من ٧ يترددون على غرفة المجلات وهناك غرفة لاطلاق الكتب لمن يطلبها فيها ٥٢ الف مجلد وهي تتمزق وتعتق فتجدد كل مدة ويؤتى باحسن منها اما قاعة المراجعة ففيها ١٠١٣٩٦ مجلداً من المعاجم والموسوعات ومجاميع القوانين وغيرها .

فقراء الهند

نشرت احدى المجلات الالمانية بحثاً في حكماء المسلمين في الاصقاع الهندية الذين يدعون بالفقراء فقالت ان الاوروبيين الذين يزورون الهند زيارة سطحية بدون ان يسبروا اخلاقها يرون من هؤلاء الفقراء مجانين مختلة شعورهم ولكن لهؤلاء الصالحين الشجاذين دخلاً في الدين وعددهم يحسب الاحصاء الاخير نحو خمسة ملايين نسمة في الهند ومن اشهرهم كوريسانكار وكان من قبل وزيراً لبهافنكار وهو ذو حظوة عند الانكليز ومؤسس مدارس وسجون كانت انموذجاً في انتظامها ثم نفض يده من الدنيا وانقطع الى غابة سنة ١٨٧٩ وكتب الى ماكس مولر الفيلسوف اللغوي الالماني : لقد عشت ستين سنة في الحياة الخارجية فاريد الآن ان اصرف عمري في التأمل .

العرب والنوط

بين احد الباحثين الانكليز النسبة بين الهندسة النوطية والعنصر النوطي وبين الهندسة العربية والعنصر العربي والنوط هم شعب كان ينزل في جرمانيا واغار على المملكة الرومانية سنة ٤١٠ م فقال ان الهندسة العربية غير ثابتة ولذلك فنيت واضمحلت اما الابنية النوطية فهي على العكس تنبيء بعقول بنائها من اهل الشمال وبشدة اخلاقهم وان ما خص هذا العنصران اي النوطي والعربي مما انبأ به تاريخهما من قلة نظامهما بقرأه المرء فيما بقي من مصانعهما وآثارهما .